

مقدمة



اتخذت «ثورة ديسمبر» من اللحظة الأولى البعد الوطني الشامل سياسيا وشعبيا لذلك هي بعيدة تماما عن مسمى «ثورة الجيـاع» لأن مـا حـدث ويحـدث الآن لم يكن مجرد غضبة جوعي ستنتهي بنهاية حصولهم على الخبز كما يتصـور الـبعض أو يتصور النظام. لأن السودان أزمته أكبر من الجوع والـدواء وانعـدام الخـدمات وغيرها من تداعيات المسـكوت عنـه فى الأزمـة الراهنـة. لـذلك مـا حـدث مـن تداعيات هو نتاج أزمة سياسية بدأت فصولها قبيل وبعيد استقلال السودان في عام ١٩٥٦ وما زالت مستمرة.

إذن ما يحدث الآن امتداد حقيقي وطبيعي لمطالب الشعب السوداني السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتراكمة منذ عقود خلت أي منذ شرارة حامية توريـت في ١٩٥٥ ومذكرات أبناء الجنوب ومطالب اللهيب الأحمر وجبهة نهضـة دارفـور ومؤتمر البجا والكيانات النوبية.

وهي ذات المطالب التي عبر عنها الأب «فليب عباس غبوش»، وذات المظـالم التي أغضبت «داود يحي بولاد» وبسببها أعلن انسلاخه عـن الحركـة الإسـلامية، ودفعت بموسي محمد احمد وحركة تحرير السودان والعـدل والمسـاواة وحركـة «٢٨ رمضان» إلى الثورة في وجه طغمة الإنقاذ التي رضعت من ثـدي الأزمـة اكثـر

من الأنظمة التي سبقتها بحكم طول عمرها في السلطة[1].

كما أن «انتفاضة ديسمبر» مرتبطة تماما بما جرى ويجري في دارفور التي يتحمل المؤتمر الوطني وحركته الإسلامية وزر ما وقع فيها من قتل وتشريد ونزوح. وليست منفصلة عما حدث في النيل الأزرق وجنوب كردفان من مآسي ومصائب وكوارث.

كما لا يمكن أن نقرأ «ديسمبر» بمعزل عن دموية الإرهابي «أحمد هارون» وأدبياته التي تقول: « امسح اكسح وما جيب حي» وكلمة أخيه في النذالة وسفك الدماء سفاح الإنقاذ الرئيس البشير عشية تدشين الإبادة الجماعية بالفاشر في مارس ٢٠٠٣ عندما قال: «لا جريح ولا أسير» والمعنى طبعا واضح ولا يحتاج إلى إيضاح لأن الكلمة مباشرة وموغلة في الدموية وسفك الدماء. كما أنها ليست بمعزل عما وقع في بورتسودان من أحداث في عام ٢٠٠٥ راح ضحيتها عشرات الأبرياء من شباب السودان. وليست بمعزل عن مطالب شهداء كجبار و أطفاله الغرقى ومطالب مناهضي التهجير القسري ومطالب أصحاب قضية دفن الحضارات والآثار التاريخية في شمال السودان. بل لا يمكن قراءتها بعيدا عن النازحين والمشردين واللاجئين والمفقودين من أبناء السودان في الداخل والخارج.

تسقط بس:

وثيقة كُتبت بدماء الشعب السوداني في دارفور والجنوب والشرق والشمال وجنوب كردفان والنيل الأزرق – وإن شئتم الدقة قولوا السودان كله.

بدأت كتابة فصولها في ٣٠ يونيو/ حزيران من عام ١٩٨٩م عام الدم والشؤم في

(١) [illegible] ٢٠١٨ ثورة في مرآة الحاضر والماضي

السودان على يد «سفاح» الجبهة الإسلامية القومية، رئيس المؤتمر الوطني «عمر البشير» وما زالت كتابتها مستمرة إلى أن يتم القضاء على آخر «مواطن» سوداني إذا لم تنجح ثورتنا الحالية في القضاء على «كيزان الإنقاذ».

في هذه الوثيقة كتبت وبينت كيف أن «الإنقاذ» تخلصت من أبنائها المخلصين. فالإنقاذ قد أكلت بنيها « الزبير/ شمس الدين/ أروك طون/ كوان/ حاج نور/ مجذوب الخليفة / وخليل إبراهيم ...».

كأن أكلها «السحت» وجيف الجثث من أولادها لم يشبعها فأكلت كوكبة نيرة ومميزة من خيرة أبناء المؤسسة العسكرية السودانية، هم « ضباط ٢٨ رمضان» فقد قتلتهم في شهر رمضان قبل فرحة العيد بيومين (٢٨) ضابطا كانوا ينادون بخلاص السودان من كيزان الجبهة الإسلامية القومية. فقد أكلتهم فلا آثار أو شواهد تدل ذويهم إلى أماكن قبورهم حتى الآن!.

يظهر أن (ثوار رمضان) أقل من أن يشبعوا «سعار» الإنقاذ فبدأت بأكل السودان كله، فتخلصت من جنوبه وما زالت تقتات من لحومنا في دارفور وغيرها من مدن السودان التي تنتفض الآن.

باختصار:

أود أن أقول لكم «**متين تصفا سما الخرطوم حبيبتنا، ومتين جرح البلد يشفى**»[1]

و«تسقط بس»..

فؤاد عيد

(١) الشاعر الشعب محجوب شريف وهو في طريقه إلى المعتقل مطلع السبعينات

(١)

الإنقاذ وشباب السودان

الشباب الذين يتصدرون الثورة السودانية الآن معظمهم ولدوا في عهد حكومة (الإنقاذ) فرضعوا منها المعاناة والذل فصاروا من أكثر شباب العالم تعاسة فقد قتلتهم الإنقاذ بالحرمان والأمل الزائف والأماني الكاذبة، والتجنيد الإجباري حتى يموتون نيابة عنها في محارق الموت في الجنوب إبان (هوجة) المشروع الحضاري، ومن أنجته الصدفة منهم ابتلعته مياه البحار غرقا ، أو مات فى الصحارى عطشا، أو مات على فراشه حزنا على حاله وحال السودان الوطن. ومن فلت من الموت في دارفور أو الشرق أو الشمال أو جبال النوبة والنيل الأزرق أو أي منطقة أخرى، حاصره الفقر وقتلته البطالة وتيارات العنف والتطرف.

إذن العلاقة بين الإنقاذ وشباب السودان علاقة قائمة على الإقصاء والتشريد والتجويع والتهميش والتخوين والقتل والعنف والإرهاب وذلك من خلال الوسائل والطرق الآتية:

(أ) استغلال الدين:

عاشت أوروبا عصوراً أشد ظلاما من سواد (الخروب) في فترة القرون الوسطى، وكان السبب المباشر لهذه الرجعية وهذا التخلف هو سيطرة الدين متمثلا في الكنيسة على مقدرات وموارد الدولة وعقول وأفئدة وأدمغة الشباب، فنتج عن تلك الهيمنة الدينية نظام سياسي مشوه لم يسمع عن الحرية والعدالة

والديمقراطية والسبب إساءة استخدام الدين والمعتقد في تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تحت شعار «هي لله».

لكن نجحت أوروبا أن تفتح «طاقة نور» وسط ظلام الكنيسة فكانت أوروبا التي نراها الآن، ولكننا نعيش الآن ظلام أوربا وماضيها المتخلف ونتحيز إليه وندافع عنه، ومن أجله نقتل الأنفس والعقول، (مكنكشين) في الدين والسياسة معا كأنهما شيئا واحدا لا يمكن الفصل بينه. مع أن الحقيقة المجردة ترى أن الدين والسياسة يشكلان ثنائية متنافرة، لأن التوظيف السياسي للدين قد يلحق أضرارا بالغة بالدولة والمجتمع والدين، وينشئ صراعاً سياسياً واجتماعياً على حساب القيم التي تنظم علاقة الدولة بالمجتمع.

لم تُدرك الإنقاذ ومعها سائر أنظمتنا العربية أن الدين روحانيات مقدسة تسمو بالأفراد فيرتقون إلى درجات الكمال والسمو الأخلاقي، أما السياسة فهي «فن الممكن» وإن تضارب وتعارض هذا الممكن مع ما هو مقدس أو روحاني.

التجارة بالدين:

كانت تجارة الإنقاذ بالدين رابحة فهي التي أبقتها جاثمة على ظهورنا (ثلاثين عاما) وإلا من أين للإنقاذ أن تستمر في الحكم لو لا اشتغالها بالتجارة الدينية منذ وقت مبكر؟ واستخدامها الدين بشكل عملي في تبرير سوءاتها المفضوحة، حتى وقع الدين في قبضتها السياسية التي تجنح إلى العنف والقمع والفساد.

بالتأكيد استطاعت الإنقاذ أن تجعل مجتمعنا السوداني المتدين بفطرته أكثر تطرفا، فقد أبدلت دينه بتدين شكلي أكثر حدة وعدائية وأقل بساطة وأقل تسامحًا، تدين يدمج ما بين المحافظة الاجتماعية المتطرفة والإحباط الشخصي في مجتمع «مكبوت ومشوه» تتنازعه أمراض الطائفية والمذهبية.

وفي تقديري أن «تديين السياسة» سوف يؤدي بالإنقاذ إلى حتفها ربما في

القريب العاجل كنتيجة حتمية لطغيان حماسها الديني على بصيرتها السياسية.

لأن القراءات التاريخية تؤكد بشكل قاطع أن من يستغل الدين في السيطرة والاستحواذ على السلطة وإذلال الناس غالباً ما يسقط على «أم رأسه» فيموت.

من الشواهد التاريخية الدالة على صدق هذا الادعاء سقوط (كهنة آمون) الذين كانوا يستبدون بالمصريين ويلتهمون في بطونهم ما يقدمه الشعب المصري عن طيب خاطر كهدايا وعطايا وقرابين إلى الآلهة بقصد التقرب منها! ومنها سقوط «اليهود» بعد تقديسهم (التلمود) الذى ابتدعوه واستوحوه من تعاليم التوراة والعهد القديم وفصلوه بما يتناسب مع شهواتهم وأطماعهم. ومنها أيضا سقوط الكنيسة الأوربية في قبضة قيم الحرية والعدالة بعد أن ظلت تسيطر على المجتمع الأوربي طوال فترة العصور الوسطى.

نبتة السوء:

كما أسلفنا فقد استخدمت الإنقاذ الدين استخداما نفعيا فجا، فجعلته السبب المباشر لنزاعاتها السياسية مع أبناء جلدتها في «جنوب السودان »وأحيانا وقودا لإشعال حروبها التافهة. فدمَّرت وخرَّبت وقتَّلت وشرَّدت وأفسدت وفسدت باسمه، حتى صارت «نبتة السوء» التي أفسدت حياة السودانيين، وامتهنت كرامتهم.

لقد جرى اختراع الإسلام السياسي الحديث في الهند على يد المستشرقين لخدمة السلطة البريطانية، ثم تبناه وبشر به المودودي الباكستاني. وكان الهدف هو «إثبات أن المسلم المؤمن بالإسلام لا يستطيع العيش في دولة غير إسلامية - وبذلك كانوا يمهدون لتقسيم البلاد» لأن الإسلام لا يعترف بالفصل بين الدين والدولة حسب زعمهم. وهكذا تبنى أبو العلاء المودودي فكرة الحاكمية لله (ولاية الفقيه)، رافضاً فكرة المواطن الذي يسن التشريعات لنفسه، وأن الدولة

عليها أن تطبق القانون الساري للأبد «الشريعة». كما أن الإسلام السياسي يرفض فكرة الحداثة المحرّرة، ويرفض مبدأ الديمقراطية في حد ذاته -أي حق المجتمع في بناء مستقبله عن طريق حريته في سن التشريعات. أما مبدأ الشورى الذي يدعي الإسلام السياسي أنه الشكل الإسلامي للديمقراطية، فهو ليس كذلك، لأنه مقيد بتحريم الإبداع، حيث لا يقبل إلا بتفسير التقاليد «الاجتهاد»، فالشورى لا تتجاوز أياً من أشكال الاستشارة التي وجدت في مجتمعات ما قبل الحداثة، أي ما قبل الديمقراطية. ولا شك أن هذا التفسير قد حقق في بعض الحالات تغييراً حقيقياً عندما كانت هناك ضرورات جديدة، ولكنه الآن يضع الصراع الحديث من أجل التغيير الاجتماعي والديمقراطية في مأزق.

(ب) التطرف الديني:

لم يكن مجتمعنا المتسامح مع ذاته والآخرين يعرف الأفكار المتطرفة وانتشار ثقافة التكفير وإهدار الدم واستسهال سفكه إلا لما فتحت الإنقاذ هذا الباب واسعا فدخلت منه فتنة التطرف وكل شرور الظلام.

لكن ما هو التطرف؟ هو الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع وتبني قيم ومعايير مخالفة لها.

لقد تنامى تيار الإسلام السياسي والتطرف الديني بالسودان وبلغ ذروته بمجيء الإنقاذ إلى السلطة. وذلك أن الإنقاذ أسهمت بطريقة واضحة في تحجيم التيارات اليسارية بلا استثناء وتضييق الخناق عليها في الحياة العامة وتشريد كوادرها بالفصل عن طريق الصالح العام والملاحقات الأمنية الشرسة لقياداتها ونشطائها بل اتبعت فعلها هذا بحملة لا تقل عنه ضراوة داخل الجامعات والمعاهد العليا فأسفرت هذه الحملات الشعواء على حمل الكثيرين للهجرة ومفارقة الوطن إلى المنافي البعيدة ومدن الشتات بحثا عن ملاذات آمنة ومن بقي

لا يختلف عن اثنين إما باحث عن الهجرة وإما وحيد وغريب لا يقوى على فعل شيء فاليد الواحدة كما يقول المثل السوداني «لا تصفق». وأما الصوفية فقد أضحت مظهراً لا يعبر عن جوهر الآباء المؤسسين الذين ضربوا أمثلة أسطورية في الزهد والورع[1].

أنماط التدين والتطرف في عهد الإنقاذ:

بلغت أقسام التدين في السودان في عهد الإنقاذ «عشرة»[2] فهنالك التدين المعرفي (الفكري)، والتدين العاطفي (الحماسي)، والتدين السلوكي (تدين العبادة)، والتدين النفعي (المصلحي)، والتدين التفاعلي (تدين رد الفعل)، والتدين الدفاعي العصابي، والتدين المرضي (الذهاني)، والتصوف، والتدين الأصيل، وأخيرا التطرف ويعني الغلو في جانب آخر أو أكثر من جوانب الدين بما يخرج الشخص عن الحدود المقبولة التي يقرها الشرع ويجمع عليها علماء الدين ويمكن تقسيم التطرف إلى ثلاثة أنواع:

أ- **التطرف الفكري**: حيث يصعب النقاش مع هذا الشخص حول ما توصل إليه من أفكار ويتعلق على فكرة فلا يقبل فكراً أو رأياً آخر.

ب- **التطرف العاطفي**: وقد يكون التطرف في مجال العاطفة حيث تصبح عواطف الشخص كلها متركزة على الجوانب الدينية ويصبح شديد الحساسية من هذه الناحية شديد المبالغة في الانفعال بها.

ج- **التطرف السلوكي**: وهنا تجد الشخص يبالغ مبالغة شديدة في أداء الشعائر

(١) خالد فتحي - التطرف الديني بالسودان... قرابين الدم هل من مزيد؟! سودانايل يوم ٢٠١٠.

(٢) أطروحة علمية غير منشورة لنيل درجة الماجستير بعنوان (سمة التدين وعلاقتها بالقلق وبعض المتغيرات) للباحثة النفسية والاجتماعية انتصار الفاتح حيث أجرت الباحثة دراسة ميدانية بمنطقة الثورة محلية كرري في العام ٢٠١٤م.

الدينية الظاهرية بما يخرجه عن الحدود المقبولة شرعاً وكأن هذه الشعائر هدف في حد ذاتها لذلك نجد أن هذه الشعائر تخلو من معناها الروحي بل إن التطرف في مجال الفعل قد لا ينتهي عند حدود تصرفاته الشخصية، بل يتجاوز ذلك إلى مجتمعه، فيقوم بإلزام الآخرين لكي يسلكوا مثله وإذا أبوا ذلك ربما يقوم بالاعتداء عليهم.

أسباب ودوافع التطرف:

يرجع التطرف في جذوره إلى عدة أسباب أهمها ما يلي :

(أ) يعتمد التطرف على الأيديولوجيات المتطرفة التي ترفض الاعتراف بقيمة الآخر المخالف وكرامته. وقد ساعد نظام الإنقاذ على تأجيج ثقافة العنف والتعصب بل ضاعف من دعمه للجماعات المتطرفة. وذلك من خلال تعاطفه مع تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن الذي وضع الأسس التنظيمية لجماعة (بوكو حرام) التي تنشط الآن في نيجيريا وبعض الدول الإفريقية.

ومن خلال «المؤتمر الشعبي العربي» الذي أسسه حسن الترابي عام ١٩٩١م والذي لعب دورًا هاماً في دخول الحركات المتطرفة إلى السودان خاصة الجماعات الجهادية الأفغانية والباكستانية .

بل إن هناك تقاربًا فكريًا بين الإنقاذ وداعش والدليل على ذلك قدرة داعش على ترحيل أعضائه من السودان ، إلى ليبيا والعراق وسوريا في وضح النهار وبالطبع لا يمكن أن يتم له ذلك بدون علم الحكومة .

(ب) الافتقار إلى وجود مرجعيات دينية موثوق بها : ونرى هذا في الخطاب الديني المتعصب للجماعات المتطرفة والذي يستند إلى تأويلات وتفسيرات خاطئة ، بعيدة عن سماحة الإسلام ومجافية لروح الأديان التي تدعو إلى المحبة والرحمة والتسامح ونبذ العنف وقبول الآخر.

رصاص التطرف[1]:

في ظهيرة الجمعة ١٣ فبراير ١٩٩٤م حدث في مسجد الشيخ أبوزيد بالثورة الحارة الأولى. شيئا لا يمكن تصديقه، لأنه لم يحدث من قبل على الإطلاق. فانتاب الجميع الشعور بالصدمة والذهول من هول النبأ فقد تعرض مسجد الزعيم التاريخي لجماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ أبوزيد محمد حمزة لهجوم مسلح نفذته جماعة متطرفة يتزعمها شخص يدعى محمد الخليفي. اسفر عن سقوط (٥١) شخصاً بين قتيل وجريح.

وبعد سبعة أعوام على حادثة «مسجد أبي زيد» وبالتحديد يوم السبت ٩ ديسمبر ٢٠٠٠م الموافق ١٢ رمضان خرج متطرف آخر يُدعى «عباس الباقر» يحمل بندقية كلاشنكوف هاجم بها بوحشية المصلين أثناء أدائهم صلاة التراويح داخل مسجد أبوبكر الصديق بالجرافة فاستحال هذا المتطرف المهووس أرضية المسجد إلى بركة دماء وكومة أشلاء ممزوجة بصراخ المفزوعين وزفرات ساخنة لآخرين قبل اغماضة الموت الأخيرة. فكان حصاد هذه العملية الدامية سقوط (٢٠) شخصاً قتلى وما يفوقهم جرحى. قبل أن يقتل الباقر نفسه في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة قريبا من المكان.

وفيما يشبه الامتداد لخيط «الدم الإنقاذي» امتطى أربعة شبان وثيقي الصلة بالمتطرفين ينتمون لجماعة «أنصار التوحيد» سيارتهم واعتمروا بنادقهم في ليلة رأس السنة بالعام ٢٠٠٧م وخرجوا يبحثون عن ضحية جديدة تذبح قربانا لوليمة الموت فوضع القدر أو الحظ العاثر الدبلوماسي الأمريكي جون مايكل غرانفيل وسائقه عبد الرحمن عباس رحمة في طريقهم فما هي إلا (١٥) ثانية فقط حتى

(١) نقلا بتصرف عن خالد فتحي – التطرف الديني بالسودان... قرابين الدم هل من مزيد؟! سودانايل ٢٠١٠.

امطروا جسديهما بالذخيرة الحية وتكفلت الثقوب التي أحدثتها المقذوفات النارية بتدوين أسمائهما على قائمة ضحايا التطرف الديني بالسوذان.

خلية السلمة:

لا يختلف اثنان أن الصدفة وحدها ولا شيء غيرها هي من قاد «شرطة الإنقاذ» إلى هتك استار وكشف أسرار ما عُرف بخلية «السلمة» التي أدت إلى توالى سقوط بقية المقرات والمخابئ بأيدي الأجهزة الأمنية كتفاحة ناضجة فتوصلت إلى مخابئ الأسلحة التي تخص الجماعات المتشددة بسوبا شرق والحتانة في «عملية مجانية » أسفرت عن اعتقال (٦٣) متطرفًا.

بدأت قصة «خلية السلمة» في ١٢ أغسطس ٢٠٠٧م عندما انتبه السكان بحي السلمة جنوبي الخرطوم على دوي انفجار اعتقدوا للوهلة الأولى أنها «أنبوبة غاز» فسارعوا إلى المكان لاستجلاء ما حدث ولتقديم المعاونة اذا تطلب الأمر ذلك. لكنهم فوجئوا بثلاثة شبان في مقتبل أعمارهم يهرعون لخارج المنزل ويحاولون بشيء من العجلة إيقاف إحدى سيارات الأجرة «أمجاد» لإسعاف مصابين داخل المنزل وبحسم منعوا أي شخص من الدخول إلى المنزل أو معاونتهم على إسعاف زميلهم المصاب إلى المستشفى. هذا التصرف الغريب حمل البعض إلى الاتصال بشرطة النجدة وإبلاغهم بالأمر. وعلى الفور خفت دورية تابعة للشرطة إلى المكان وقامت بإسعاف المصاب واقتادت آخرين كانوا بالمنزل إلى قسم الشرطة للتحري في الواقعة. عناصر الشرطة التي اقتحمت المكان هالها ما رأت داخل المنزل المتواضع حيث عثرت على كميات كبيرة من المتفجرات التي صنعت بطريقة بدائية مخبأة داخل جوالات، كما وجدت أن المنزل مظلم شيئا ما حيث كان الرقم (صفر) مثبت على شاشة عداد الدفع المقدم بينما تناثرت ملابس تخص الشبان الخمسة على أرضية المكان الذي خلا من الأثاث سوى بعض السجادات المفروشة على الأرض. حيث كان المكان أشبه بحقل الغام أو مخزن سلاح قابل

للانفجار في أي لحظة.

كشفت خلية «السلمة» عن تطور نوعي كبير في فكر المتطرفين بالسودان على مستوى التكتيك على الأقل حيث اخذوا في التوسع في الاستفادة من التقنية الحديثة في تجهيزاتهم كما وكيفا خاصة فيما يلي صنع السلاح والتعامل مع الحاسوب والانترنت الأمر الذي قادهم فيما بعد إلى زيادة الاتصال بالعالم الخارجي بصورة أكثر من الذين سبقوهم في هذا المضمار.

منذ تلك الفترة تصاعدت موجة التطرف الديني وسط الشباب السوداني خلال السنوات الأخيرة، خلافاً للطبيعة المتسامحة للشعب السوداني، والتي يشكّل تيار التصوف غالب مزاج التدين الشعبي فيها. حيث شكلت حادثة عملية قتل المصلين في مسجد الشيخ أبو زيد بالثورة الحارة الأولى في عام ١٩٩٤، تحولاً نوعياً بالغ الأهمية في مسيرة التطرف الديني في السودان؛ إذ انتقلت من التشدد في نطاق الفرد والأسرة إلى محاولة فرضه بالنار والدم وسط المجتمع، وهذا ما يسمى اصطلاحاً بمدرسة «العمل المباشر» التي أبرز منظريها الباكستاني أبو الأعلى المودودي والمصري سيد قطب، ومفادها بأنه لم يتبقّ للمسلم شيء سوى العمل المباشر وتغيير ما يراه منكراً بيده.

خلية الدندر:

في عام ٢٠١٢ تم القبض على (٣٠ شابًا) في معسكر للتدريب يريدون التوجه إلى «دولة مالي» للجهاد ضد القوات الفرنسية المتمركزة فيها . عُرف هذا التحرك وقتها بـ«خلية الدندر» نسبة إلى مدينة الدندر التي تقع جنوب شرق الخرطوم.

جذور التطرف:

جذور التطرف الديني في السودان وتعود إلى السعودية حاضنة التطرف في العالم

فقد كانت السعودية القاسم المشترك الأعظم لقادة التطرف بالسودان، سواء بالعيش فيها صغاراً ويافعين، أو بتلقي العلم في مؤسساتها التعليمية. فعلى سبيل المثال، قدم الخليفي من السعودية مستجيباً لإغراء أحد المواطنين السودانيين الذي التقاه هناك، وثلاثة من منفذي عملية اغتيال الدبلوماسي الأميركي كانوا في السعودية، والمدان الثالث في الجريمة الضابط مهند عثمان يوسف عاش هناك قبل أن يعود إلى السودان، والمهندس محمد مكاوي المدان الأول والذي أصدر فتوى الاغتيال بوصفه أميراً لجماعة أنصار التوحيد التي نفذت العملية أيضاً عاش هناك، والمدان الثالث عبد الرؤوف أبو زيد تلقى تعليمه هناك. وهذا يعني أن التطرف في السودان ارتبط بالجماعات المرتبطة بالأفكار الجهادية التي تقسم العالم إلى فسطاطين فسطاط الكفر وفسطاط الإسلام، تحت شعارات «فلترق منا الدماء، فلترق منهم دماء، فلترق كل الدماء»[1].

(ج) العنصرية:

مع مجيء الإنقاذ انتشرت بصورة مخيفة ظاهرة العنصرية في السودان فاطلت بصورة قبيحة وسيطرت علي كثير من مفاصل الحياة في السودان خاصة في مناطق النزاعات حيث ظهرت حالات قائمة على الاعتداء الاثني والقبلي.

وقد استمر خطاب الإنقاذ العنصري قرابة الثلاثين عاما يستهدف كل شرائح المجتمع السوداني خاصة أبناء دارفور والنيل الأزرق وجبال النوبة. قصد الإنقاذ من ذلك تفكيك النسيج الاجتماعي للشعب السوداني حيث كرست حكومة المؤتمر الوطني كل ترساناتها الإعلامية ومؤسسات الدولة الرسمية لتبني هذا الخطاب العنصري الذي يأتي على شاكلة من أين انت؟ وما قبيلتك؟ وما علاقتك بالأسرة الفلانية؟ وما هو دينك...الخ.

(١) نقلا بتصرف عن عادل كلر – الشباب السوداني والتطرف... عندما ينزل الحل من عل، ٣٠ يونيو

الحقيقة أن خطاب الإنقاذ بشكله الحالي والماضي قد ساعد كثيراً في تفكيك النسيج الاجتماعي في السودان حتى صار الشعب السوداني الموجود الآن ليس هو الشعب السوداني الذي كان قبل نظام الإنقاذ فلقد انقسم وتقوقع في القبلية والمنطقة وتفكك اجتماعيا بشكل عام.

سياسة فرق تسد[1]:

لا يخفى علينا أن نظام البشير يقوم علي ركيزة أساسية هي «سياسة فرق تسد» التي تهدف إلى ضرب المجتمع السوداني ببعضه البعض وتقسيمه علي أساس عرقي وديني وجهوي، حيث جعل البشير أكثر من ثلث سكان السودان كفار يجب قتالهم ومجادتهم نصرة لدين الله وتقربا له.

بل أنه حول مطالب السودانيين في إقليم دارفور من إطارها التنموي والمساواة والعدالة إلي صراع بين «زرقة وعرب»، كما قتل المواطنين السودانيين في «دال وكجبار وأمري» لأنهم رفضوا تهجيرهم قسريا وطمس حضارتهم التي توضح بجلاء أصل وأصالة السودان. بالإضافة إلى الاعتقالات الانتقائية لمنسوبي بعض القوميات السودانية وتعذيبهم دون غيرهم وغيرها من عمليات الاختفاء القسري والاغتصاب والاغتيال والعنف اللفظي والشتم والسب.

لجأت الإنقاذ إلى كل هذه السياسات والممارسات الهادفة إلى تقطيع أوصال ووشائج الشعب السوداني وتحطيم حلمه في الوحدة والتعايش من أجل البقاء في كرسي السلطة الذي تُسقطه من تحتها الثورة الآن.

فسفاح الإنقاذ البشير مستعد في سبيل بقائه في كرسي الحكم فصل كل الأقاليم السودانية التي تطالب بحقوقها الطبيعية في الحرية والكرامة الإنسانية ودولة

(١) العنصرية في السودان ... الخطر القادم – جريدة صوت الهامش مارس ٢٠١٧.

المواطنة التي تتساوى فيها الحقوق حتى وإن تقاصرت خريطة السودان ما بين جبل أولياء وحجر العسل أو توتي كل هذا سوف يقود إلي تفكيك الدولة السودانية طالما بقيت الإنقاذ علي سدة السلطة.

بعض ممارسات رموز الإنقاذ العنصرية[1]:

لدينا في السنوات الأخيرة، عدة جرائم عنصرية مشهورة ومشينة، لم نسمع بها قبل مجيء نظام الإنقاذ الذي خرج من عباءة الحركة الإسلامية، في الأسطر القليلة القادمة سنتعرف على الدوافع المباشرة وغير المباشرة لملابسات كل حدث، ونتعّرف على الخلفيات الأثنية للجناة.

١- لعل اقبح هذه الجرائم واشهرها أحاديث زعيم الجبهة الإسلامية القومية الراحل الدكتور «الترابي» عن أبناء غرب السودان بالغمز واللمز وأحيانا بالقول الصريح المباشر.

٢- في مدينة الرياض العاصمة السعودية، وقعت في عام ٢٠٠٨م جريمة عنصرية وذلك أثناء لقاء «الجاني» برابطة أبناء الشمالية بالمملكة العربية السعودية، خلال ذلك اللقاء التنويري، تحدَّث عبد الرحيم محمد حسين، وزير دفاع نظام الإنقاذ آنذاك ،غاضبا على المجني عليهم «أهالي غرب السودان بالجملة» قائلا رداً على تساؤل: (أما مسألة استجلاب الحكومة لخمسة ألف مصري وتوطينهم في الشمالية غير صحيح وحتى لو افترضنا أنه صحيح أيه المشكلة؟ ما ياهو غرب السودان فيهو ثمانية مليون من غرب أفريقيا .. أيهما أفضل ؟)

٣- وفي سبتمبر عام ٢٠١٧م قال لواء طيار «م/ عبد الله صافي النور» القيادي

(١) إبراهيم سليمان – العنصريون في السودان.. من هم؟ – ٢ ديسمبر ٢٠١٨.

في حزب المؤتمر الوطني، ووالي شمال دارفور الأسبق موجهاً كلامه إلي ساطع الحاج (المجني عليه)، والقيادي بتحالف قوى الإجماع الوطني المعارض: «بي لونك دا ما بتقدر تخش دارفور» رافضا الاعتذار له، ومسرح الجريمة برنامج الميدان الشرقي الذي تبثه قناة أم درمان.

٤- في أكتوبر ٢٠١٧م اتهمت نائبة رئيس المجلس الوطني «عائشة محمد صالح» رئيس لجنة الصناعة بالبرلمان «عبد الله علي مسار» بإثارة العنصرية داخل جلسات المجلس الوطني ضد سكان الولاية الشمالية، وقالت إنّ مسار كان والياً في الشمال ويعلم البؤس الذي يعيشه مواطن ولايات الشمال.

٥- في يونيو من عام ٢٠١٨ وقعت جريمة عنصرية ، داخل محطة وقود بمدنية سنار، المعتدي فيها «عثمان الزين» نائب أمين الحركة الإسلامية ومدير الشركة الإسلامية التعاونية بسنار، ووقائع الحدث كما يلي: قام الضحية المواطن السوداني، الحاج رحال، بصفته عامل محطة الوقود مكان الحدث، بإيقاف الجاني «عثمان الزين» ، لأنه تخطى صف المنتظرين لخدمة المحطة، فصعد الجاني على عربته (بقصد الإشهار)، ثم خاطب الناس قائلا: «متى أتى النوبة من الكراكير ليحكمونا»، وفي رواية أخرى ليتسلّطوا علينا، ثم واصل الإهانة والتحقير قائلا: (إنه بإمكانه أن يدهس الحاج «رحال تيه» بسيارته في لحظة لأن رحال لا يساوي شيئا وليس له قيمة وانّ شركته يمكنها دفع القيمة أن وجدت).

٦- تجنى «ناصر الطيب» القيادي بالمؤتمر الوطني في سبتمبر من عام ٢٠١٨م على الصحفي «عبد القادر باكاش»، من خلال تسجيل صوتي نُشر على وسائل التواصل الاجتماعي، احتوى على عنف لفظي ضد قبيلته، وتهديد صريح بالقتل مع سبق الإصرار، على خلفية مقال نشره «باكاش»، انتقد فيه التشكيل الوزاري الأخير بولاية البحر الأحمر، خصوصاً ما يتعلق بتعيين أشخاص من

خارج الولاية في وظائف وزارية وإدارية، وقد أشار في مقاله إلى ولايتيّ الشمالية ونهر النيل.

٧- في شهر نوفمبر ٢٠١٨م، وقعت جريمة عنصرية مسرحها فضاء اسفيري «مجموعة واتس آب»، الجاني فيها «عمر تاتاي»، نائب سفير السودان لدى الكويت، والمجني عليه السيد «أزهري الزاكي» القيادي البارز بالحزب الاتحادي الديمقراطي الأصل، ووقائع الجريمة تقول أن الجاني نعت المجني عليه بأنه (فلاتي ساكت ولا علاقة له بنهر النيل) أثناء مشادات كلامية بينهما.

(٢)

سفاح الإنقاذ

الحقيقة أن «سفاح الإنقاذ» البشير هو المتهم الأول في كل الخراب الذي حل بالسودان وأهله وهو من صنع الأزمات التي عشناها ونعيشها الآن. فهو الذي قتل أهلنا في الجنوب وهو الذي حول «قطاطي» دارفور الآمنة إلى رماد تتناقله وسائط الإعلام وهو أول من انتهج سياسة العنف والتهجير ضد المدنيين الأبرياء العزل إلا من سلاح الإرادة.

فهذا السفاح قد اغتصب «بليل» السلطة الديمقراطية في السودان فأدخل ليلها في نهارها. فقد ادعى «بيان انقلابه» أنه جاء لإنقاذ البلاد من التردي الشديد والتدهور المريع الذي انحدرت إليه في جميع المجالات.

والسؤال هل أنقذ (البشير) السودان مما كان يعانيه؟ فلننظر إلى شكل السودان بعد مرور ثلاثين عاما على قيام تلك الثورة المزعومة، فقد فقدت البلاد ثلث مساحتها الجغرافية بانفصال الجنوب قبل بضع سنوات في عام ٢٠١١ وفقدنا بانفصاله أغلب ثرواتنا الطبيعية وعلى رأسها البترول حيث فقدت السودان حوالي ٧٠٪ من إنتاجها النفطي، وليت انفصال الجنوب جلب الأمن للسودان، فما زالت هنالك بؤرا للنزاع المسلح في ولايتي جنوب كردفان وجنوب النيل الأزرق المتاخمتين لدولة جنوب السودان. ناهيك عن دارفور المضطربة منذ ١٦ عاما وبسبب أزمتها تم تدويل قضايا السودان مما أدى إلى إحالة «البشير» نفسه إلى

محكمة الجنايات الدولية، في سابقة ما كان ينبغي لها أن تحدث في السودان لو لا وجود هذا «الرئيس الجنجويدي» وذلك لارتكابه جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وجرائم إبادة جماعية.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد تحولت حياة أهل السودان إلى جحيم. حيث تدهور الوضع المعيشي للغالبية الساحقة منهم حيث اختفت الطبقة الوسطى تماما وأصبح السودان طبقتين طبقة حزب البشير وطبقة عامة الشعب. إضافة إلى تدهور الزراعة التي فيها حياة السودان وقوته وعزته حيث انهار مشروع الجزيرة الزراعي أحد أكبر المشاريع الزراعية في القارة الأفريقية. ونتيجة لذلك أصبح السودان البلد الذي يمثل «سلة غذاء العالم» يستورد حتى الخضروات من الخارج.

لكل هذه الأسباب يمكننا أن نقول وبكل ثقة أن هذا الرجل لا يملك قلبا أو رحمة وهذا ما يميزه عن سائر الرؤساء الذين تعاقبوا على حكم السودان، فهو «قاتل وسفاح وسفاك دماء». فقد كانت أبشع جرائمه وأشدها قسوة تلك التي وقعت في شهر «رمضان» شهر الرحمات والغفران عندما أقدم على إعدام ثلة خيرة من أبناء السودان نذروا أنفسهم للعمل في القوات المسلحة فذبحهم كبهيمة الإنعام وأخفى قبورهم إلى يومنا هذا. ثم توالت جرائمه البشعة في حق الشعب السوداني إلى أن وصل إلى أفظعها وأندلها وأبخسها وهي «فصل الجنوب» وممارسة «التطهير العرقي» في حق أهلنا في دارفور.

جرائم البشير:

التصفيات والاغتيالات الجسدية:

إن التصفيات الجسدية ومحاولات الاغتيالات العديدة والكثيرة التي جرت لبعض الشخصيات السياسية الشهيرة و«الطلابية» داخل السودان لهي سمة أخرى تثبت «جنجويدية الرئيس البشير» فقد طالت يد غدره شخصيات لعبت أدوارا

كبيرة وبارزة في الحياة السياسية السودانية.

١- إعدام رجل الأعمال مجدي محجوب:

وُلد رجل الأعمال مجدي محجوب محمد أحمد في يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٤ بالخرطوم «٢» لعائلة ثرية، فوالده المليونير محجوب محمد أحمد، وعمه السفير جمال محمد أحمد وزير الخارجية الأسبق. درس المرحلة الابتدائية والمتوسطة بمدارس الخرطوم. تلقى تعليمه الثانوي بمدارس كمبوني بالخرطوم. ثم سافر لبريطانيا لإكمال تعليمه الجامعي وتحضير درجة الماجستير في هندسة الكمبيوتر، وقبل إكماله لدرجة الماجستير بمعهد «ساوث هامبتون» للدراسات العليا بلندن عاد للسودان عام ١٩٨٦ إثر علمه بنبأ وفاة والده.

تبدأ قصة «مجدي» عندما تم اعتقاله في الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٨٩، في إطار حملة الإنقاذ ضد «الإتجار بالعملات» في السوق السوداء، والمفارقة أن المبلغ الذي اعتقل بسببه مجدي، طبقا لإفادة أدلى بها صلاح كرار «عضو مجلس قيادة انقلاب الإنقاذ» كانت في حدود «عشرة آلاف دولار» خلفها والده في خزينته بالمنزل، وهي أموال ورثة (لم يتم توريثها ساعتئذ)، لحين عودة جميع أبناء المرحوم من مهجرهم، وقد كان الشهيد مجدي هو الابن الوحيد للمرحوم من الذكور الموجودين بالسودان. من أجل هذا المبلغ مثل مجدي محجوب أمام «محكمة عسكرية»! هزلية في الجمعة الأخيرة من شهر نوفمبر ١٩٨٩ أصدرت ضده حكما بالإعدام «شنقا حتى الموت». وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت لإنقاذه من الموت، بما في ذلك تدخل والدة الرئيس البشير، بعد أن استنجدت بها والدة مجدي، فإن الحكم نفذ في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٨٩، أي بعد عدة شهور من انقلاب الإنقاذ.

وبعد موته جاء صلاح كرار ليقول: «طبقا لما يتوفر لدي من معلومات أعتقد

أن إعدام مجدي كان خطأ من أخطاء الإنقاذ» وأشار إلى أنه ليست له مسؤولية حول ما حدث على الرغم من أنه كان وقتها رئيس اللجنة الاقتصادية، وقال في هذا الصدد «عندما أعدم مجدي لم أكن موجودا في السودان»! ثم بعد ثلاثين شهرا من إعدام مجدي يصدر وزير المالية الأسبق «عبد الرحيم حمدي» قرارا يقضى بالسماح بحيازة النقد الأجنبي. وتبقى الحقيقة أن هدف الإنقاذ من وراء «إعدام» رجل الأعمال مجدي محجوب، رسالة موجهة إلى «رجال الأعمال السودانيين» لفتح الطريق أمام تجار آخرين لهم ارتباطات بالنظام هم « تجار الجبهة الإسلامية القومية».

٢- إعدام جرجس القس بسطس:

كان جرجس القس قبطي سوداني يعمل مساعد طيار في الخطوط الجوية السودانية، اعتقل عام ١٩٩١ وبحوزته حوالي ٩٥ ألف دولار مع شيكات بمبلغ ٨٠٠ دولار، وشيك آخر بمبلغ ١٥٠دولاراً و١٧٥ ريالاً سعودياً و٨٤٠ جنيهاً مصرياً.

تعرض «جرجس» إلى إهانات بالغة وتعذيب قاس خلال فترة اعتقاله، كما تعرض لضغوط نفسية رهيبة، حيث كان يستدعى عدة مرات على أساس أن ينفذ فيه حكم الإعدام لكنه يعاد إلى زنزانته. إلى أن أعدم فجراً في سجن كوبر في فبراير (شباط) ١٩٩٠، بتهمة تخريب الاقتصاد الوطني وخرق قانون التعامل بالنقد الأجنبي ومما قاله صلاح كرار حول هذه الواقعة: «يقينا أن مجدي وجرجس لم يكونا من تجار العملة نحن كنا نعرف جيدا من هم تجار العملة»!.

٣- ضباط حركة ٢٨ رمضان:

في أبريل من عام ١٩٩٠ فشلت «ثورة الخلاص الوطني» التي قامت بها حركة ضباط ٢٨ رمضان بقيادة الفريق خالد الزين. فتم اعتقالهم وشُكلت لهم محكمة

عسكرية عاجلة استمرت إجراءاتها فقط لمدة ساعتين أصدرت بعدها قرارا بإعدام (٢٨) ضابطا ورقيب وهم:

م	اسم الضابط	رتبته	تاريخ الميلاد	المدينة	الدفعة
١	خالد الزين على نمر	فريق طيار	١٩٣٨	رفاعة	١٢
٢	عثمان إدريس بلول	لواء	١٩٣٩	تنقاسى	١٣
٣	حسين عبد القادر الكدرو	لواء	١٩٤٢	الكدرو	١٥
٤	محمد عثمان حامد كرار	عميد طيار	١٩٤٣	حلايب	١٨ دفعة الرئيس البشير
٥	محمد أحمد قاسم	عقيد	١٩٤٥	بحري	١٨ دفعة الرئيس البشير
٦	عصمت ميرغني طه	عقيد	١٩٥٣	الخرطوم	٢٤
٧	بشير مصطفى البشير	عقيد	١٩٥٣	السجانة	٢٤
٨	صلاح السيد	عقيد	١٩٥٣	بحري	٢٤
٩	عبد المنعم حسن على كرار	مقدم	١٩٥١	الأبيض	٢٥
١٠	بشير الطيب محمد صالح	مقدم			٢٥
١١	بشير عامر أبو ديك	مقدم			٢٥
١٢	محمد عبد العزيز	مقدم			٢٥
١٣	سيد حسن عبد الرحيم	مقدم			
١٤	نهاد إسماعيل حميدة	رائد		حلة حمد	٢٥

م	اسم الضابط	رتبته	تاريخ الميلاد	المدينة	الدفعة
١٥	الفاتح أحمد الياس	رائد		القضارف	٢٨
١٦	الفاتح خالد خليل	رائد		كوستي	٢٨
١٧	عصام ابو القاسم	رائد		الخرطوم	٢٩
١٨	بابكر عبد الرحمن نقد الله	رائد		الديم الشرقية	٢٩
١٩	صلاح الدرديرى	رائد		الكاملين	٢٩
٢٠	تاج الدين فتح الرحمن	رائد		أم درمان	٢٩
٢١	أسامه الزين عبد الله	رائد		أم درمان	٢٩
٢٢	الشيخ الباقر الشيخ	رائد			٣٠
٢٣	سيد أحمد صالح النعمان	رائد			٣٠
٢٤	معاوية يس على	رائد		الشجرة الخرطوم	٣٢
٢٥	أكرم الفاتح يوسف	رائد طيار	١٩٦٢	أم درمان	
٢٦	مصطفى عوض خوجلى	نقيب طيار	١٩٦٢	الخرطوم	
٢٧	مدثر محمد محجوب	نقيب		القرير	٣٤
٢٨	عبد المنعم خضر كمير	نقيب		كسلا	٣٤
٢٩	حسن محمد إسماعيل	رقيب أول			

لكن حالة الهلع والخوف التي أصابت الإنقاذ بسبب إعدامها «ال ٢٨» ضابطا جعلتها تكتفي بالسجن والطرد من الخدمة لبعض الضباط الذين يتبعون لثورة «الخلاص الوطني» وتبرئة آخرين ثم التخلص منهم لاحقا بالفصل من الخدمة.

فكانت الأحكام كما يلي:

١- النقيب محمد الهادي إلياس – السجن ١٥ عاما والتجريد من الرتبة والطرد من الخدمة.

٢- الرائد محمد آدم محمود – الحكم بالسجن ثلاث سنوات والتجريد من الرتبة العسكرية.

٣- النقيب عصام مصطفى – السجن ثلاث سنوات والطرد من الخدمة والتجريد من الرتبة العسكرية.

٤- النقيب الأمين عبد الغفار – الطرد من الخدمة.

٥- النقيب إبراهيم خليفة مزمل – الطرد من الخدمة.

٦- الرائد حامد علي سليمان – السجن عشر سنوات والتجريد من الرتبة والطرد من الخدمة.

٧- المقدم مصطفى بابكر جبريل – الطرد من الخدمة.

٨- الرائد سيد أحمد البلولي – الطرد من الخدمة.

٩- الملازم أول حسان النعيم مصطفى – البراءة.

١٠- الملازم عمر عثمان محمد العوض – البراءة.

١١- العقيد صديق مهاجر محمدين – البراءة.

١٢- العقيد عبد السلام حسين سليمان – البراءة.

١٣- العقيد عثمان محمد عثمان – البراءة.

١٤- الرائد أحمد بابكر التجاني – البراءة.

أهداف حركة ٢٨ رمضان المجيدة:

١- إعادة الحياة الديمقراطية في السودان.

٢- الغاء كافة المراسيم الدستورية الصادرة عن السلطة العسكرية منذ الثلاثين من يونيو ١٩٨٩.

٣- إقرار وثيقة دستورية تحدد هياكل الحكم الديمقراطي تؤكد على مبادئ كفالة الحريات الأساسية واستقلال القضاء وسيادة حكم القانون.

٤- الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

٥- استقلال مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي.

٦- استقلال الحركة النقابية وبقاؤها موحدة وديمقراطية.

٧- قومية القوات المسلحة والشرطة والقوات النظامية الأخرى، والخدمة العامة وأجهزة الإعلام وحمايتها من التدخلات السياسية.

٨- انتهاج سياسة خارجية تؤكد السيادة الوطنية وتقوم على رعاية المصالح المشتركة وحسن الجوار وعدم الانحياز، وتناصر قضايا التحرر وتناهض الصهيونية والتفرقة العنصرية.

٩- إعلان شرعية الأحزاب السياسية والنقابات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية.

١٠- حرية الصحافة والسماح بإصدار الصحف القومية والحزبية.

١١- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وإعادة المفصولين تعسفيا بعد ٣٠يونيو ١٩٨٩ إلى مواقع عملهم.

١٢- محاكمة ومحاسبة كل من شارك في تقويض النظام الديمقراطي

١٣- محاكمة المسؤولين عن الفساد بكل أشكاله أمام القضاء.

١٤- نزع سلاح الميليشيات.

من فظائع الإعدام:

جرت محاكمة عاجلة للضباط، وتشكلت لهم محاكم (صورية) وبالتالي لم يحظ أيًا من المحكومين سوى بدقائق معدودة تم خلالها تلاوة صحيفة الاتهام ثم سؤال المتهم (هل أنت مذنب أم غير مذنب) وترد المحكمة بأنها وجدت المتهم مذنبا وعليه تصدر حكمها بالإعدام رميا بالرصاص وقد تمت المحاكمات في السجن الحربي بـ (كرري) بواسطة كوادر الجبهة الإسلامية القومية التي شكلت من إدارة الاستخبارات محكمتين إجازيتين لمحاكمة المجموعة الأولى والتي تضم ٢٨ ضابطا، وكان تشكيلها كما يلي:

المحكمة الأولى برئاسة:

أ- العقيد محمد الأمين شمس الدين

ب- العقيد محمد الطيب الخنجر – عضوا

ج- العقيد إبراهيم محمد الحسن – عضوا

المحكمة الثانية برئاسة:

١- العقيد محمد علي عبد الرحمن

٢- العقيد يس عربي – عضوا

٣- العقيد سيد كنه – عضوا

وقد قامت الاستخبارات العسكرية بكل إجراءات محاكمة المجموعة الأولى، ورفعتها إلى قيادتها التي شكلت بدورها غرفة عمليات تضم:

١- العقيد بكري حسن صالح

٢- اللواء محمد أحمد مصطفى الترابي

٣- العميد كمال علي مختار

٤- العميد عبد الرازق الفضل

٥- العميد حسن عثمان ضحوي

أجازت هذه اللجنة الإجراءات ورفعتها إلى لجنة الأمن والعمليات التي اتخذت مقرا لها في مكاتب وزارة الدفاع، وكان تشكيلها كالآتي:

١- اللواء الزبير محمد صالح – رئيسا

٢- اللواء إبراهيم نايل ايدام – عضوا

٣- اللواء التجاني آدم الطاهر –عضوا

٤- العقيد بكري حسن صالح – عضوا

٥- الرائد إبراهيم شمس الدين – عضوا

٦- اللواء فيصل أبو صالح (وزير الداخلية) – عضوا

٧- الدكتور حسين أبو صالح (وزير الخارجية) – عضوا

٨- السيد علي شمو (وزير الإعلام) – عضوا

٩- مدير إدارة الاستخبارات العسكرية – عضوا

١٠- الدكتور نافع علي نافع (رئيس جهاز الأمن) – عضوا

وافقت هذه اللجنة على إجراءات محاكمة المجموعة الأولى وكان الحكم هو العزل، والطرد من الخدمة والإعدام رميا بالرصاص.

رفع القرار إلى العميد عمر البشير رئيس مجلس قيادة (الإنقاذ) وصادق عليه.

تمت جميع تلك الإجراءات والمحاكمات في غضون ساعتين فقط، سيق بعدها الشهداء إلى الدروة.

تنفيذ الإعدامات:

في حوالي الساعة الرابعة إلا ربع صباحا تم تجهيز (موكب) من السيارات تحت إشراف العقيد الهادي عبد الله (نكاشة) وإدارة الاستخبارات العسكرية لترحيل الضباط إلى السجن الحربي بكرري.

وقد أشرف على ذلك التجهيز والتحضير كل من:

١- العقيد عبد الرحيم محمد حسين.

٢- العقيد بكري حسن صالح.

٣- الرائد إبراهيم شمس الدين.

٤- النقيب محمد الأمين.

وقد كان السجن الحربي مكان قراءة الأحكام، والتجهيز للإعدام. إذ جمع كل الضباط بعد قراءة الأمر عليهم، واخذوا إلى خلف السجن الحربي في منطقة الجبل الأسود وتم تنفيذ الإعدام عليهم رميا بالرصاص.

لم تستمر كل تلك الإجراءات والأعمال والتجهيزات والتحضير سوى بضع ساعات مما يدل على أن مسرحية الإعدام كانت معدة مسبقا وبدقة. حتى يتم إسكات صوت الحق. وإشاعة الإرهاب في نفوس الشرفاء من أبناء القوات المسلحة، ثم توالت بعد ذلك أحكام المحاكم الأخرى للمجموعات (ب) و(ج)، وكانت برئاسة العقيد الخنجر والعقيد سيد فضل كنة، وكانت كلها ترمي لبسط

الإرهاب والخوف في المجتمع السوداني، وسخروا لذلك كل أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية.

كما أصدرت هذه المحاكم أحكاما صورية بالإعدام وتم تنفيذها فور صدورها، لأن مجموعة التنفيذ كانت على عجلة من أمرها فقد قامت بإطلاق النار، تنفيذا لتعليمات الرائد محمد الحاج من أمن النظام، ومعه مجموعة مكونة من عشرة كوادر، تم اختيارهم بعناية فائقة، يتبعون جميعاً لأمن الجبهة الإسلامية، وكانوا يعملون في ذلك الوقت في جهاز أمن الدولة تحت القيادة المباشرة للدكتور نافع علي نافع.

جميع الإعدامات تمت قبل ٤٨ ساعة فقط بقين «لعيد الفطر المبارك» ثم ذهب الرائد إبراهيم شمس الدين وحرسه المدججين بالسلاح يطوفون على منازل اسر «شهداء رمضان» ليمنعوهم من إقامة أي عزاء أو أي مظهر من مظاهر الحزن، بشكل استفزازي لمشاعر الأسر المكلومة. لذلك لم يكن عيد الفطر في ذلك العام «١٩٩٠» عيدا، بل يعتبر ومازال منذ ذلك اليوم وإلى الآن واحدا من أسوأ الأعياد التي مرت في تاريخ السودان بعد الاستقلال، بجانب (وقفة عيد الأضحى عام ١٩٩٨ عندما وقعت مجزرة العيلفون). فقد كان عيدا مرا باردا إلا عند «قتلة الإنقاذ» أما العاصمة الخرطوم في تلك الليلة فقد كانت:

تنام باكية في ثيابها البالية

لا حركة في الطرقات

لا أضواء من نوافذ البيوت

لا فرحٌ في القلوب

لا ضحك في الحناجر

الأمن مستتب كما يهدأ الموتى

أماكن تنفيذ أحكام الإعدام:

تم تنفيذ أحكام الإعدام فيهم بمنطقة (المرخيات) وسط هتافات الشهداء (عاش كفاح الشعب السوداني) ثم دفنوا في مقابر جماعية مجهولة الآثار لأن الأوامر صدرت لسائق «البلدوزر» بدفن الخندق الذي تكومت فيه جثثهم الطاهرة.

أحد حضور المذبحة ذكر أنهم كانوا يسمعون أنينا هنا وهناك من داخل الخندق حينما كان «البلدوزر» يقوم بردمه لكن ذلك لم يحرك شعرة في جسد أياً من الواقفين بلا شك أن بعضا من الشهداء دفن حيا!!

منذ عام ١٩٩٠ وحتى اليوم ترفض وزارة الدفاع إخطار أهالي الشهداء بأماكن قبورهم!! ولكن يقال تم دفنهم:

أ- في وادي الحمير قرب عطبرة.

ب- قرب الجبل الأزرق خلف الكلية الحربية السودانية مباشرة

قامت أسر الشهداء بتقديم عرائض للمسئولين الكبار بالدولة ووزارة الدفاع لمساعدتهم في معرفة قبور ذويهم إلا أن كل هذه العرائض لم تجد الاهتمام، فقاموا بمظاهرات فتم قمعهم بعنف مفرط!!

٤- شهداء جبل دبليكورة:

في يوم الاثنين الموافق ٢٤/ ٠٩/ ١٩٩٠م بدأ الشروع في اغتيال ثمانية من خيرة مواطني خزان جديد والشعيرية بواسطة طوف من القوات المسلحة السودانية وقد اكتمل اغتيالهم في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥/ ٠٩/ ١٩٩٠م وتم دفنهم في عراء جبل «دبليكورة» في مقبرتين جماعيتين بقصد إخفاء الحقيقة وقد تم اكتشاف المقبرة الجماعية والجثث بالمصادفة في يوم الثلاثاء ٢٣/ ١٠/ ١٩٩٠م.

ملابسات الاغتيال:

في اليوم المعين تم إخراج طوفين من القوات المسلحة من الفاشر ونيالا وقد قاد هذه الأطواف المقدم «حسين حامد» والمقدم «بكري سيد أحمد» والرائد «أحمد أدم أحمد» والملازم شرطة «الشفيع». جابت هذه الأطواف مناطق القوز في خزان جديد والشعيرية وتم إحراق عدد ٢١ قرية من قرى قبيلة الزغاوة فقط. وفي أثناء حرق القرى تم نهب ممتلكات المواطنين وذبح مواطن من الزغاوة من الذين تفقهوا في خلوة «همشكوريب» بشرق السودان وإحراق مواطن آخر برميه في «قطية» ملتهبة.

ومن ثم توجه طوف نيالا إلى خزان جديد حيث تم اعتقال المواطنين الآتية أسماءهم:

١- الحاج إسماعيل أبكر، تاجر بخزان جديد ورئيس لجنة حي إسماعيل أبكر ورئيس لجنة بناء الجامع الكبير ورئيس الغرفة التجارية بخزان جديد ورئيس جمعية حي غرب السوق ومؤذن بمسجد خزان جديد.

٢- الحاج نورين إمام إبراهيم، تاجر بخزان جديد ومندوب المنطقة في قضية تكوين مشايخ الأنفار ورئيس لجنة توزيع المواد الغذائية ورئيس اللجنة الخيرية لتنمية المنطقة.

ثم توجه الطوف بعد ذلك إلى الشعيرية حيث تم اعتقال المواطنين الآتية أسماءهم:

١- مولانا بخيت سنين حسن، تاجر بسوق الشعيرية وعضو لجنة بناء الجامع الكبير ومؤذن بجامع الشعيرية الغربي وعضو لجنة مياه الشعيرية ورئيس مجلس أباء المدرسة الابتدائية ورئيس جمعية حي المستشفى التعاوني.

٢- محمود سنين، وكيل ترحيلات بسوق الشعيرية ورئيس الجمعية التعاونية بحي الشرطة.

٣- هاشم صالح أبا، تاجر بسوق الشعيرية ورئيس لجنة حي الشرطة وأمين صندوق لجنة مياه الشعيرية وعضو لجنة الحرائق.

٤- مادبو محمد حماد، تاجر بسوق الشعيرية وعضو لجنة بناء الجامع الكبير وعضو لجنة مياه الشعيرية وإمام مسجد حي الشرطة.

٥- إبراهيم جمعة، تاجر بسوق الشعيرية.

٦- موسى دفع الله، تاجر بسوق الشعيرية.

وفي اليوم التالي للاعتقال أي يوم الثلاثاء الموافق ٢٥/ ٠٩/ ١٩٩٠م وبعد غروب الشمس أدخلوهم الخندق المعد لهم وتم اغتيالهم فرداً فرداً على يد الملازم شرطة «الشفيع» وبنفس الرصاص الذي دفعوا ثمنه كمواطنين خيريين.

من مفارقات القدر أنه بينما كان جزء من القوات النظامية المنوط به تنفيذ الاغتيال تقوم بحفر المقبرة الجماعية كان الحاج إسماعيل أبكر (الشهيد الأول) ينادي بقية زملائهم لصلاتي الظهر والعصر. فقيّدوا أرجله وأطلقوا عليه الرصاص بعد أن أمّهم في صلاتي الظهر والعصر.

تم اغتيال ودفن هؤلاء المواطنين وكلهم من قبيلة الزغاوة دون أن يكتب قادة الطوف كلمة واحدة بشأنهم، بل كانوا يدّعون أن هؤلاء المواطنين على قيد الحياة ولو لم يتم اكتشاف الجثث بالمصادفة من قبل المواطنين لمّا اعترفوا بموتهم وهذا يبرز الجانب الإجرامي والجبان في هؤلاء القادة، وهم بعملهم هذا لا يقصدون فقط اغتيال الخيريين من أبناء هذه الأمة ولكنهم يقتلون أبناء السودان في شخصهم.

٥- علي عثمان ومحاولة اغتيال حسني مبارك:

رغم مرور «٢٤ عاما» من الزمن، على محاولة اغتيال الرئيس المصري الأسبق

حسني مبارك حيث لا تزال أسرار تلك الواقعة المثيرة تتكشف يوما بعد الآخر. فالحديث عن واقعة اغتيال مبارك في أديس أبابا في ٢٦ يونيو ١٩٩٥ تجدد مرة أخرى قبل ثلاث سنوات بعد إذاعة تسجيل للراحل الدكتور حسن الترابي زعيم ومؤسس الحركة الإسلامية في السودان يكشف فيه عن أسماء المتورطين في العملية، وحقيقة علم الرئيس السوداني عمر البشير بالواقعة من عدمه بعدما ظل محلًا للتكهنات طوال عقدين من الزمن.

تلك الواقعة الفاشلة تعود تفاصيلها عند زيارة الرئيس الأسبق إلى العاصمة الإثيوبية لحضور القمة الأفريقية وتعرض موكبه لعملية استهداف من قبل ١٠ مسلحين دارت الأحاديث فيما بعد أنهم تزوجوا من إثيوبيات للاندماج في المجتمع الإثيوبي حتى يستطيعوا التحضير لعملية الاغتيال، التي أحبطتها حراسة مبارك بتصفية ٥ من القتلة، وقرار مبارك نفسه بالعودة إلى المطار خاصة أن الشواهد أكدت على وجود كمين آخر في الطريق كان ينتظره. وكانت تلميحات مبارك آنذاك بأن محاولة اغتياله قد يكون وراءها النظام السوداني ظلت محل جدال، لكن لم يتم الجزم بها بشكل قاطع إلا أن أصابع الاتهام أشارت إلى «جماعة الجهاد الإسلامية» بالتورط في الواقعة والتخطيط لها عن طريق عدد من القيادات على رأسهم زعيم تنظيم القاعدة السابق، أسامة بن لادن والحالي أيمن الظواهري الذي كان يحتضنهم في هذا التوقيت الرئيس السوداني عمر البشير، وذلك بالتعاون مع الجماعة الإسلامية في مصر التي راودتها فكرة استهداف الرئيس على مدار ١٤ عاما هي عمر حكمه لمصر حتى تلك اللحظة. ومنذ محاولة الاغتيال لم يتوقف نظام مبارك عن الهجوم على السودان وكيل الاتهامات لهم سواء بالتخطيط لمحاولة اغتياله أو حتى على أقل تقدير تسهيل تنفيذها عن طريق استضافة المتهمين في القضية قبل الحادثة وإنشائها معسكرات تدريب خاصة على أرضها، فاستمرت القطيعة بين البلدين لعدة سنوات قبل أن تعود العلاقات على نطاق

أضيق فيما بعد.

وعلى الرغم من ذلك كان هناك اتفاق مبدئي على أن الجماعة الإسلامية متورطة في الحادث باعتبار أنها أعلنت عن مسئوليتها منذ اللحظة الأولى، وأن الأمر تم تنفيذه بمعرفة ١١ عضوًا تم إرسال ٩ منهم إلى إثيوبيا، وبقي الآخران في السودان، كما قالت التقارير أيضاً أن الأسلحة المستخدمة في الواقعة نقلت إلى أديس أبابا بواسطة الخطوط الجوية السودانية، إضافة إلى أن منفذي العملية كانوا يحملون جوازات سفر سودانية.

من المؤكد فيما سبق أن حرس مبارك قاموا بتصفية ٥ من العناصر المشاركة في العملية، فيما ألقت المخابرات الإثيوبية القبض على ٣ آخرين من المشاركين في العملية هم «صفوت عتيق، وعبد الكريم النادي، والعربي صدقي» وتم الحكم عليهم بالإعدام فيما أكدت الجماعة الإسلامية في عهد الرئيس المعزول محمد مرسي أنهم مازالوا على قيد الحياة، وحاولوا مخاطبة إثيوبيا من أجل العفو عنهم بعدما ظلوا في المعتقل مدة تجاوزت الـ ١٧ عاما، فيما أشارت تقارير صحفية أخرى أنهم تم إعدامهم في وقت لاحق.

فيما تحدثت التقارير الصحفية عن أن الثلاثة الآخرين الذين تمكنوا من الهروب هم «مصطفى حمزة» الذي تم اتهامه بأنه العقل المدبر للعملية، و«عزت ياسين»، و«حسين شميط» الذي حاول ترشيح نفسه لانتخابات البرلمان في فترة حكم الإخوان.

الترابي يحسم الجدل ويفضح علي عثمان:

بعد مرور كل هذه السنوات، كشف تسجيل الدكتور حسن الترابي لبرنامج «بلا حدود» المذاع على قناة الجزيرة كثيراً من الغموض الذي أحاط تلك الواقعة، بعدما أكد أنه لم يكن هو والرئيس السوداني عمر البشير يعلمان بالأمر، مؤكدًا أنه

علم بمحاولة اغتيال مبارك في نفس اليوم الذي أخفقت فيه، بعد إبلاغه من قبل نائبه علي عثمان محمد طه «بشكل مباشر» عن تورطه في العملية بمعاونة جهاز الأمن العام الذي يترأسه حينها نافع علي نافع. وقد كشف الترابي في ذلك التسجيل، أن تمويل العملية تم بمبلغ مالي «أكثر من مليون دولار» أخذه علي عثمان محمد طه وزير الخارجية آنذاك سرا من الجبهة الإسلامية القومية، مؤكدًا على اعتراضه على القرار بشدة لكن طول العهد من متخذي القرار غلبه في النهاية. وأشار الترابي إلى أن نائبه لم يرتب لمحاولة الاغتيال بسبب أي دوافع شخصية إنما جاءته عناصر من الجماعة الإسلامية وليسوا من الإخوان المسلمين أبلغوه برغبتهم في التخلص من الرئيس مبارك علما بأن التحقيقات أثبتت تورط عناصر من الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة مصطفى حمزة رئيس مجلس الشورى.

وحول تداعيات فشل محاولة الاغتيال، قال الترابي «عاد إلينا مصريان فيما قتل ٥ شاركوا في محاولة الاغتيال، حيث تم صعود الاثنين بعد فشل العملية على الطائرة الإثيوبية بأسمائهما وعادا للسودان، واجتمعنا للنظر في أمرهما، واقترحنا أن ننتهي منهما حتى يموتا بسرهما، ولكنني طلبت ترحيلهما إلى أفغانستان ليعلنا أنفسهما وكأنهما دخلا السودان في غفلة من أهلها». مضيفًا الرئيس الإثيوبي حدثني بنفسه بعد أن زج بأسمى في التحقيقات المصرية، وأوصم الأمر بي، ولكن جاء الأمريكان وأمدوني بكل المعلومات حول الواقعة» وبسبب هذه المحاولة اليائسة فقد السودان «حلايب والفشقة، ودخل قائمة «الدول الراعية للإرهاب».

٦- مصرع جون قرنق:

دخل العقيد جون قرنق الخرطوم في يوم ٩ يوليو من عام ٢٠٠٥ بعد غياب دام ٢٢ عاما قضاها بالأحراش والغابات يقاتل من اجل السودان الجديد. فكان في استقباله (٢ مليون) من السودانيين الذين جاءوا من كل فج عميق لاستقباله وتحيته. والغريب في الأمر، إن جون قرنق قد لقي مصرعه بعد ٢٢ يوما من دخوله

الخرطوم تاركا وراءه سؤالا واحدا بلا إجابة هو « من قتله؟»

٧- شهداء مجزرة بورتسودان:

شهداء بورتسودان هم شباب من هذا الوطن ضحوا بدمائهم من أجل وطن يعم فيه السلام والرخاء والديموقراطية ويتوافر فيه الخبز والماء والدواء وحليب الأطفال، وينتهي فيه مص الدماء. كانت جريمة قتلهم أنهم كانوا يصدحون بالصوت العالي وبالكلمة الشجاعة في وجه ظلم وطغيان رئيس حكومة المؤتمر الوطني «المشير البشير»، فهم كانوا يناضلون من أجل الأرض والعرض ومكارم الأخلاق والحرية.

سقط «شهداء بورتسودان» برصاص الدولة في مواجهات لم تزل ملابساتها طي الكتمان الحكومي في ٢٩ يناير ٢٠٠٥ وكان عددهم ما بين ٢٢ و٣٤ شخصا، لكن لا تأكيد حقوقي على ضبط العدد ولا إعلان رسمي حتى الآن لإشارات أولية نعرف بها هوية هؤلاء الشهداء بالرغم من تقادم السنوات التي مرت على لحظة استشهادهم.

المؤسف في الأمر أن نيابة النظام العامة في ولاية البحر الأحمر في مارس ٢٠١١ قدرت ألا «أرضية قانونية» للدفع بتهم جنائية ضد «القوات النظامية» المتهمة بقتل المتظاهرين في بورتسودان يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٥ وبهذا أطاحت بالبلاغات التي قام بتدوينها ذوي القتلى في هذا الخصوص. لذلك وزير الداخلية حينها «عبد الرحيم محمد حسين» ترأس لجنة لتقصي الحقائق في الأحداث انتهت إلى توزيع الديات على عدد من أسر القتلى بينما ظلت ست أسر منهم حتى مارس ٢٠١٢ على الأقل على مطلبها بالقصاص ممن قتل أبنائها.

السؤال ما الذي دفع بالشهداء إلى التظاهر في شوارع بورتسودان وقتها؟

بمطالب مطالب السودانيين التي باتت عادية في نظر النظام خرجت بورتسودان في ٢٨ و٢٩ يناير ٢٠٠٥ رافعين قائمة إلى والي الولاية وقتها، «حاتم السماني

الوسيلة»، يطالبون فيها:

أ- باستبدال مدير الميناء الذي اتهموه بالتمييز ضد أبناء البجا.

ب- تغيير طاقم حكومة الولاية وقيادات الأمن والبوليس بموثوقين من أبناء البجا.

ثم تواصلت الاحتجاجات السلمية للتشديد على هذه المطالب والضغط السلمي لتحقيقها، بدعوى الشغب بعثت الحكومة المركزية ليلة ٢٩ يناير بقوة أمنية قوامها (٣٠٠) شرطيا إلى بورتسودان لحفظ الأمن فخلفوا في غزوتهم تلك «شهداء بورتسودان» الأبرار.

ثم تزعم «مؤتمر البجا» جناح موسى قضيتهم محاولا تأبينهم حتى دون ذكر أسمائهم، رغم أن «موسى» يشغل منصب مساعد رئيس النظام.

وصل «موسى محمد أحمد» إلى هذا المنصب الرفيع على دماء وجثث «أبناء البجا» في عملية تسوية رخيصة مع النظام مثل غيره من السياسيين الذين لا يطيقون عبء النضال. فما فائدة المنصب إذن وهو لا يستطيع حتى كشف هوية «الشهداء»!! الذين دمهم في رقبته لأنه كان جزءا من النظام وقتئذ، لذلك لابد من نصب ميزان العدل له بجانب قتلة المؤتمر الوطن يدا بيد حتى تتوقف أرواح الشهداء من الصراخ بالظلم وإن غطى التراب جثثهم الطاهرة البريئة.

أكثر من (١٣ سنة) مضت وما زالت أرواح شهداء بورتسودان تحتكم إلى ضمير القضاء السوداني والجهات العدلية تماطل في فتح بلاغات في مواجهة «القتلة» فالنيابة العامة ترفض ووزراء العدل يرفضون!! المطالبة المستمرة من اللجنة العليا لأسر الشهداء التي ظلت تطالب بالعدالة رغم تعرضها لأصناف من التهديد والضغوط ولكنها ظلت صامدة ولم تتوانى في تصعيد القضية، وظلت في كل البيانات التي تصدر عنها تطالب بإسقاط النظام حتى تتحقق العدالة لكل أبناء

السودان فيحكمون بالقصاص على «نظام القتل» كأصحاب حق لا يمكن أن يسقط بتقادم السنون وإن بلغت (٣٠) عاما أو تزيد قليلا.

٨- شهداء سد كجبار:

عرفت بلاد النوبة عراقة ضاربة الجذور امتدت حدودها داخل مصر عند الشلال الأول وحتى تخوم ممالك أكسوم في الجنوب الشرقي والغابات الاستوائية جنوبا وممالك الغرب الأفريقي. الحضارة النوبية حضارة متميزة وذات ثقافة ولغة وتراث استمرت آلاف السنين أثرت في الحضارة الإنسانية روحيا ودينيا وتنظيميا كما في مجالات الفنون والمعمار والزراعة والصناعة واستخراج المعادن والذهب.

كل ذلك أثر في شخصية الإنسان النوبي الذي ظل يقدم التضحيات والمثل في التعامل السلمي والتعايش مع كافة القبائل التي حلت بأرض النوبة سواء كانت عربية أو غير عربية وقد أدى ذلك إلى اندماج الكثير من القبائل غير النوبية في المجتمعات النوبية.

وبالرغم من المواقف السلمية للنوبيين تجاه الشعوب الأخرى عبر العصور إلا أن أرض النوبة بثرائها وثرواتها المتمثلة في إنسانها الراقي القوي الطموح وأراضيها الخصبة المنبسطة ومياهها العذبة الغزيرة ومعادنها النفيسة ظلت تلاحقها لعنة النيل والتهجير.

لعنة النيل ومسلسل تهجير النوبيين:

على الرغم من أن «نهر النيل» هو شريان الحياة إلا أنه بالنسبة للنوبيين ليس كذلك، فهو مصدر اللعنات التي تصيبهم من وقت لآخر بصورة متكررة. فقد بات النيل مصدرا لتعاستهم.

بدأ مشوار إغراق النوبة في مراحل دفع النوبيون خلالها ثمنا باهظا في أرواحهم وحضارتهم فكان إغراقهم الأول في (١٩٠٢)، والثاني في عام (١٩١٢) والثالث عام (١٩٣٣) والرابع في (١٩٦٤)، وكان أشدا فتكا فقد أدى إلى إغراق ١٥٠ كيلومتراً جنوب وادي حلفا وترتب عليه تشريد آلاف الأسر النوبية إلى سهول البطانة وذلك دون اعتبار لبيئتهم وتقاليدهم وعاداتهم وخيارهم في الموطن البديل المشابه للذي اغرق فكان الشتات وكانت القرى المرقمة كبديل للقرى التي تحمل مسميات تدل على ثقافة أهلها وكان الظلم في التعويضات عن الممتلكات الزراعية والعينية والأراضي والمساكن التي لم تراع للأجيال القادمة واللاحقة أية حقوق.

وفي كجبار حلت لعنة النيل على النوبيين مرة خامسة فقد خططت حكومة الإنقاذ إلى عملية إغراق خامسة للمنطقة النوبية وذلك ببناء «سد كجبار» عند الشلال الثالث من أرض النوبة الوسطى وحتى جزيرة بدين وبإغراق جديد يطال ثلاثة عشرة قرية نوبية.

كانت فكرة إغراق النوبة مرة خامسة تراود الإنقاذ منذ العام ١٩٩٢، وتمهيدا لذلك فقد عطلت عن عمد مشاريع التنمية والبنيات التحتية المنعدمة أصلا «بمنطقة النوبة» ونتيجة لذلك تدهورت الخدمات الصحية فصارت المنطقة مستوطنا لأمراض الفشل الكلوي والسل والسرطانات بأنواعها، كما تدهورت الخدمات التعليمية وصارت المدارس طاردة للتلاميذ وبالتالي هجر السكان المنطقة وعليه عطلت الحكومة بناء الطرق المعبدة والمطارات ومد الكهرباء والمياه النقية، وزاد الطين بلة بناء خزان مروي وما ترتب عليه من آثار بيئية سيئة تمثلت في زيادة وتأثير «الهدام» وإغراق بعض الجزر واضمحلال منسوب مياه النيل مما أثر على المساحات المزروعة وعلى أشجار النخيل، التي تمثل الثروة الرئيسية لأهل النوبة.

ورغم ذلك لقد ظل النوبيون رسل «وحدة وسلام» لم يكونوا يوما دعاة للتشرذم

والتفرقة كما انهم لم يلجأوا يوما لاستخدام العنف ضد الدولة. فهذه هي الإنقاذ تقتلهم بلا رحمة في كجبار بصورة بشعة ومفجعة وقاسية فقد حصدت بنادق شرطة النظام أربعة أرواح بريئة طاهرة من شباب النوبة وأصابت عشرة آخرين بجروح متفاوتة. حدث ذلك عندما تحرك عدد من مواطني كجبار للانضمام إلى مجموعة أخرى من المواطنين بمنطقة «جدي» في مسيرة سلمية ضد التحركات الأخيرة المتعلقة باستئناف الدراسات الخاصة بموقع سد كجبار، فأطلقت الشرطة رصاص القتل مرتين عليهم مرة أثناء عبور مواطني كجبار إلى منطقة «جدي» ومرة أخرى عندما تمركزت قوات الشرطة في منطقة ضيقة بين منطقتي «جدي وسبو» وانتظرت لحظة وصولهم مجتمعين فأطلقت عليهم الرصاص والغاز المسيل للدموع فنتج عن ذلك مصرع شهداء كجبار الأربعة وهم:

١- الشهيد محمد فقير سيد أحمد، ١٨ عاماً، طالب بالمرحلة الثانوية، وحيد الأب والأم، من منطقة فريق.

٢- الشهيد عبد المعز محمد عبد الرحيم فرح، ٢٠ عاماً، مزارع، لديه أخت وحيدة، من منطقة شرق فاد (كورتا).

٣- الشهيد الصادق سالم محمد خير، ٤٠ عاماً، مزارع، لديه ٤ أشقاء و٥ شقيقات، من منطقة فريق.

٤- الشهيد شيخ الدين أحمد عبد الله أمين، ٣٤ عاماً، مزارع، لديه ٣ أشقاء و٤ شقيقات، من منطقة نوري.

٩- مقتل السلطان كوال دينق مجوك:

يستقبلك عند الباب واقفا[1]، بابتسامة تشع أملا وتقديراً يكشف عن أسنان أفريقية ناصعة البياض، طويل القامة تكسوه بشرة سوداء داكنة، بسيطا في ملبسه

(1) نقلا بتصرف عن المهندس صلاح أبو كشوة.

طيبا في معشره كريما في سجاياه، يحدثك بهدوء ووقار، حديث الحكمة التي تحمل ميراث مئات السنين من القيادة والحنكة. فالقادة يُوْلَدُونَ ثم يُصْنَعُونَ – تغالط نفسك إن أردت صناعتهم من غير معدنهم، فالمادة الخام لا توجد كثيراً – هو المهاب بين عشيرته وعشائر الدينكا. شخصيته تحمل كل صفات القيادة، ليس أكبر أهله سناً ولكنهم كانوا يطيعونه ويقدرونه كأنه الأسن، كان إذا أشار بإصبعه أو إذا أومي فهموا وتحركوا، عندما تجلس لشباب دينكا نقوك في الليالي المقمرة على رمال «بحر العرب»، يحدثونك عن السلطان «كوال دينق مجوك» بفخر واعتزاز، تظن أنك لم تجد في حياتك قوما يحبون قائدهم كما يفعلون، يقصون عليك كيف أن اختياره كان وهو بعد شبل صغير عن رضا واستحقاق من بين كل أخوته، ولشجاعته التي ما خيبت ظنهم يوما. كان مسلماً يقود قبيلة فيها كل التنوع، مسلمين ومسيحيين وأهل ديانات عرفية، فيهم المعارض وفيهم الموالي. وفيهم حتى من ينتمون لحزب الأمة والمؤتمر الشعبي والحزب الشيوعي وحزب البعث، ولكنهم كانوا يحبونه. إلا أن كل هذا الحب والتقدير لم يشفع لسلطان «دينكا نقوك» بأبيي ومشيخاتها الـ(٩) فقد اغتالته بتاريخ ٤ مايو ٢٠١٣، أيدي الغدر الآثم وهو في طريق عودته مع قائد قوة السلام الإثيوبية من اجتماع مشترك مع وفد يمثل المؤتمر الوطني. بعد اعتقاله لمدة يوم على يد مجهولين ثم إطلاق النار عليه عندما حاولت القوات الإثيوبية تحريره. رحل وترك لنا الاستغراب والدهشة والأسئلة الحائرة من بينها كيف يمكن لأحد أن يستهدف رجلا مثل كوال؟، ومعلوم أن المسيرية والدينكا نقوك ظلوا مكان تعايش لفترة طويلة ويعرفون بعضهم بعضا جيدا، إذن من يملك الإجابة هو من قتل السلطان قاصدا بفعلته إثارة الأزمة بين القبيلتين.

١٠– شهداء مجزرة هبة سبتمبر٢٠١٣:

مجزرة هبة سبتمبر ٢٠١٣م التي راح ضحيتها خيرة أبناء السودان نتيجة

لنزوات السلطة ومغرياتها، لم تكن الأولى ولا الأخيرة في سلسلة جرائم «المؤتمر الوطني» المتواصلة ضد كل الشعب السوداني، كما أنها ليست «الأبشع» فقد سبقها وسيليها ما هو أبشع وأسوأ منها، لأن النظام في سبيل بقائه جالسا على «الكرسي» يملك من الاستعداد والجبروت ما سيسحق ويطحن ويفرم كل السودان أرضا وشعبا وتاريخا وحضارة ثم يخلط كل هذا المزيج منتشياً بفرحة انتصاره الخائب إلا إذا حول الشعب السوداني ذلك المزيج إلى سماً يتجرعه النظام فيهوي به إلى أسفل سافلين ويبقى السودان.

هبة سبتمبر كسرت حاجز الخوف في نفوس السودانيين فلم يعد أحد من أبناء السودان يؤمن بفكرة «المشروع الحضاري» التي رفعتها «الجبهة الإسلامية القومية». فقد سقطت كل أوراق القوة التي كان تتستر بها «الإنقاذ» فقد عرفنا ألا مشروع، أو وطن في عقيدة هؤلاء الأشرار غير عقيدة التمكين والاحتفاظ بالكرسي وإن كان الثمن أرواح كل شعب السودان.

في سبتمبر من عام ٢٠١٣ خرج كل الشعب السوداني في «هبة وطنية» لإنجاز مشروع الثورة السودانية التي تخلفت قليلا عن أخواتها «بنات الربيع العربي» في تونس ومصر وليبيا وسوريا. معبرا عن رفضه التام لسياسة حكومة المؤتمر الوطني التي قضت برفع الدعم على المحروقات وعلى ما انعكس بعدها على الوضع المعيشي فكانت الشرارة الأولي في عاصمة ولاية الجزيرة «ود مدني» لم انتقل لهيب الشرارة إلي ولاية الخرطوم بمدنها الثلاث فصاحب «خروج الرفض» سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، نتيجة استخدام الحكومة العنف المفرط ضد المتظاهرين السلميين، لكن الحكومة كان مبررها أن الذين ماتوا «عصابات ومندسين» وشذاذ آفاق حاولوا «لحس أكواعهم» فحصدوا نتيجة أفعالهم.

إذن الحكومة قتلت شعبها في سبتمبر خسة وغدرا وزجت بكل من طالته يد

بطشها غياهب السجون لشهور عديدة، «شباب الخوجلاب» كمثال.

أبرز شهداء هبة سبتمبر:

١– الشهيد صلاح السنهوري أيقونة سبتمبر:

الشهيد الدكتور صلاح مدثر الشيخ السنهوري أو الشهيد «صلووحي» كما يناديه أطفال أسرته، كان رجلا يمتلك قلوب الجميع كباراً وصغارا «بطيبته»، قلوب الذين يعرفونه وحتى قلوب الذين لا يعرفونه، فكل من قابله يتذكر تلك الابتسامة التي كانت دائما مرسومة على وجهه. فقد كان الشهيد محبا للجميع ومجاملا لهم في أفراحهم وأتراحهم، فقد عرفه الجميع كيف أنه كان نشطا في مساعدة ضحايا الفيضانات الخطرة التي اجتاحت الخرطوم قبل موته.

صلاح السنهوري كان بطلا يدرك معنى البطولة، فقد كان على علم بأن الموت قد يكون بانتظاره لكنه لم يهابه من اجل أن يرفع صوته عاليا بكلمة الحق قائلا: «إن تقلها تُمت وان لم تقلها تمت إذا قلها ومت»، لأنه كان يريد أن يعلم أقرانه أن الموت من أجل وطن حر لهو غاية لا يتلقاها إلا من عرف قيمة النضال وعشق الوطن، فضحى بنفسه من أجله ومن أجل نصرة المستضعفين والمغلوبين على أمرهم من أبناء السودان، فقد أحب «صلاح» السودان وأهله وترابه. فأصبح اسمه هتافا تردده حناجر المتظاهرين في ليل الخرطوم «بالروح بالدم نفديك يا صلاح».

مات «صلاح» وتركنا نردد وراء الشاعر الكبير «أمل دنقل»:

قُلت لكم مرارا

قُلت لكُم مرارا

إن الطوابير التي تمُر في عيد الفطر والجلاء

(فتهتف النساء في النوافذ انبهارا)

لا تصنع انتصارا

إن المدافع التي تصطف على الحدود، في الصحاري

لا تطلق النيران إلا حين تستدير للوراء

إن الرُصاصة التي ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا وتقتل الصغارا

٢– سارة عبد الباقي دكتورة هبة سبتمبر:

ستة أعوام حزينة انطوت متثاقلة على وفاة الشهيدة «سارة عبد الباقي الخضر» بلغت (الـ ٢٩) خريفاً.

ما زال الجميع يا سارة يذكر أنك كنتِ جثة ملقاة على الأرض في المساحة الواقعة بين منزلك ومنزل خالتك، فقد كنتِ مسرعة للاطمئنان على «ابن خالتك» الذي أصابته رصاصة منطلقة بدم بارد، فأصابتك رصاصة الخسة في مقتل، [illegible] عليك لتحفرين اسمك عميقا في سجل الخالدين مع شهداء هبة سبتمبر الأبرار بعد أن فاتكِ موسم الموت الجماعي الذي حصدهم بلا رحمة.

دعونا الآن نستمع لرواية الصحفية «أمل أبو القاسم» فعندها الخبر اليقين عن وفاة «سارة»، تقول «أمل»: (بعد أن أعدت سارة الفطور لوالديها وقبيل إفطار بقية أهل الدار العامرة سمعوا جلبة عند جيرانهم كانت بسبب إصابة ابنهم بطلق في ساقه، وأسرعت مع شقيقتها إيمان للاطمئنان عليه، وهما في معيتهم وصل نبأ إصابة ابن خالهم في الشارع التالي لمنزله بالدروشاب فخفتا إلى منزل خالهم،

ذهبتا ولم تدريا بأن القدر يتربص لهما إسوة بالمتربصين والقناصة الذين لا يحسنون الصيد بصيد الأبرياء وترك المخربين دون أن يتأذى أحد منهم، خفت إيمان عبد الباقي الزميلة بصحيفة المجهر السياسي وسارة للاطمئنان على ابن خالهم غسان طالب الثانوي، وبعد وصولهم وهما أمام بوابة المنزل وقعت سارة بالقرب من إيمان التي ظنتها للوهلة الأولى قد تعثرت فانحنت تحاول مساندتها لكن بعض شباب الحي أسرعوا نحوها وأخبروها إنها مصابة بطلق ناري ووضح ذلك جليا عندما رفعت وسالت الدماء مدرارة تسقي أرض الدروشاب التي قدمت سبعة شهداء. نقلت الشهيدة سارة ويا لسخرية القدر بدورية شرطة على أمل إسعافها وقبل إدخالها لغرفة العمليات وقبل أن تسلم الروح طلبت من والدها العفو، فقدمه لها من بين وجعته ووجعة والدتها وأشقائها وشقيقاتها اللاتي باركن نجاحها قبيل أيام قليلة وهي تناقش الماجستير عقب تخرجها من كلية المختبرات الطبية لها الرحمة تقبلها الله وزمرة شهداء يومي الثلاثاء والأربعاء وأسكنهم فسيح جناته مع الصديقين والشهداء.

ماتت «سارة» تاركة لنا «الترقب والصبر» الجميل في انتظار العدالة التي لم تتحقق في الأرض بعدها ولكنها ستأتي، ماتت تاركة ورائها أسئلة غاية في الصعوبة على الرغم من معرفتنا التامة بالقاتل، هل سارة قتلتها الحكومة؟، هل قتلتها الأيدي المرتعشة من الغدر والخيانة؟ وهل الحكومة ما بتفهم؟ وما بتعرف ماما سارة؟!! وهل بس شاطرة في قتل الناس السمحين؟ هذا ما قالته متسائلة «ببراءة وعفوية» الأطفال إحدى «تلميذات سارة » حينما وصلها نبأ موت سارة.

كان القاتل يرتدي زيّا مدنيا ويحمل سلاحا فضلا عن أنه كان على مسافة قريبة من موقع وقوف «الشهيدة» في منزل عزاء ابن خالها. وأنه أطلق رصاصتين من سلاحه «الكلاشنكوف»!! أصابتا «سارة» التي تم نقلها للمستشفى وبعدها حضر نظامي آخر برفقة المتهم وحينها قال القاتل بكل برود لجمهرة من الناس (إنه

آسف لم تكن الشهيد ة هي من يقصد)!!

ومع كل هذا الوضوح والاعتراف والإقرار بالقتل لم تجد محاكمنا الموقرة في السودان مادة واحدة فقط يحاكم بموجبها القاتل. فقد حصل القاتل على «صك براءة» من محكمة الموضوع التي نظرت القضية أول مرة حيث بدأت محاكمة المتهم يوم ١١/ ٢/ ٢٠١٤م وانتهت في ٢٨/ ٥/ ٢٠١٤م بصدور قرار براءته الذي طعن فيه «أولياء سارة» أمام محكمة الاستئناف فألغت «حكم البراءة» ثم وصلت القضية إلى المحكمة العليا فأصدر رئيسها «عباس علي بابكر» الأمر النهائي الآتي نصه: (إلغاء قرار محكمة الاستئناف وتأييد قرار محكمة الموضوع الذي قضى ببراءة المتهم وإطلاق سراحه فورا ما لم يكن مقبوضا عليه في إجراء آخر).

٣- هزاع عز الدين شهيد شمبات:

فليسمح لي القراء من غير السودانيين أن أنقل حكاية الشهيد هزاع كما جاءت في صحيفة «حريات» السودانية، وسبب طلب الإذن هو أن بعض كلمات «حريات» جاءت موغلة في العامية السودانية حتى تلامس الجميع فجيعة «هزاع».

تقول صحيفة حريات الصادرة في اليوم الرابع تقريبا من شهر أكتوبر من عام ٢٠١٣:

بدت شمبات أمس الخميس حزينة وكأنما كتب عليها عهد جديد من الغبن والألم، هنالك سرادق فرح يقام ذبحت على جانبه ذبيحة سالت دماؤها الحمراء، بعث على استغراب (عبير) ابنة المنطقة ولكنها إذ انقبضت من رؤية السرادق المنصوب لتتنفس الصعداء أنه ليس سرادق عزاء، تجربة الأسبوع الماضي كانت قريبة، بقتل أربعة شهداء في يوم واحد، شهيدان من أبناء شمبات واثنان زائران شهيدا شمبات اللذان تزور قبرهما شمبات الحلة كلها بعد صلاة الجمعة اليوم هما هزاع عز الدين وبابكر النور (بكور).

في زيارة لمنزل هزاع أمس الخميس يبدو الألم طاغياً، في الخارج وأمام البوابة سرير يرقد عليه شيخ جرحه الألم، يقول ابنه، خال هزاع، إنه جد الشهيد الذي يرفض الطعام والشراب من يومها! كان صامتاً لا رغبة له في تلقي العزاء في حفيده الشاب، وحينما تلج الدار تجد نسوة يلفهن الصمت، لكن السؤال عن كيف قتل هزّاع فجّر كل الكلام، لم يكن بإمكانهن بعدها الصمت، لم يكن بإمكانك أن ترحل أو تكتفي، قصص كثيرة تروى ليس فقط عن هزاع، بل عن بكور، وعن الشابين الآخرين أحدهم اسمه إبراهيم كلهم راحوا ضحية رصاص الغدر الآثم. كلهن يبكين بحرقة، إحداهن تعد (حبوبه) لهزاع قالت إن ذلك كله من عمر البشير لأنه عاقر، ما ضاق «الجنا»، (بكتل في جنا الناس ويحرق حشاهم، حرقة حشانا الضقناها الله يضوقا ليه ولي أمه ولي حبوبته، زي ما هرد كبدتنا الله يهرد كبدته وكبدة أمه وحبوبته واحرق حشاهم في جناهم).

وروت أن الوالي أرسل لهم ليحضر وليعتذر، فقالت للمرسال، قل له قالت ليك حُبوبته (إن انت راجل تعال).

وروت أخرى كيف قتل بكور أثناء جنازة هزاع، ضربوا بمبان ورصاص أثناء الجنازة ما راعوا حرمتها، بكري شارك في دفن هزاع ضربوه في رجله، ولما صرخ واحد قال ليه: «انت لسع حي أداه طلقة في راسه طوالي».

أحلام أم هزاع شكت كيف انهم ضايقوهم وحاولوا منع الجنازة وجاءوا في منزلهم بستة «تاتشرات» ضربوا رصاص وبمبان داخل المنزل (لحدي ما جرينا دخلنا جوة). قاصدين شنو بعد العلينا وجرحنا الفينا؟ ذكرت كيف أن هزاع كان بصدد دخول جامعة بحري (جوبا سابقا) يوم الأحد المقبل في سنة أولى، واشترى ملابسه الجديدة، كان مقبلاً على الحياة منصرفاً عن أي هم بالسياسة حتى أنه لا يعرف من يحكم البلد، روت بتفصيل كيف قتلوه بدم بارد وبتصويب على رأسه

(ما ضرب عشوائي). كذلك ذكرت النسوة كيف أن عناصر الأمن حاولوا إرغام الطبيب على ألا يكتب سبب الوفاة الحقيقي (الضرب بالرصاص الحي في الرأس)، وأن يكتب أنه مات ميتة طبيعية ولكنه، بطل آخر من أبطال الشعب السوداني الذين يولدون من رحم المعاناة والصمود، أصر وكتب السبب الحقيقي غير مبالٍ بما يجره عليه ذلك من ويلات.

لم تكن حكايات النسوة في بيت العزاء تنتهي وكلها تنصب في تفنيد أكاذيب ودعاية النظام أن القتل كان ردا على التخريب، أكدوا (شمبات ما كان فيها تخريب، ما انكسرت فيها ولا قزازة واحدة)، الأولاد كانوا بتظاهروا سلميا بس. وكيف أن القتل طال حتى من لم يتظاهر كما حادثة هزاع.

رواية والدة هزّاع المفصلة أكدت حقائق عديدة أهمها أن ما قام به النظام مؤخرا من عنف بلا فرز يدل على ارتعاده وخوفه الشديدين وهو ما سوف يعجّل بتوحيد الجميع حوله، وعما قريب.

أحلام والدة هزاع، ما نمت تسعة أيام وما عافية حق ولدي:

أنا والدة هزاع، هزاع ده طفل بريء ما عنده أي شغلة بالسياسة ولا بالمظاهرات، قام من نومه ماشي يجيب غرض للبيت، وحتى لما لقى المظاهرات كان قاعد في مصطبة ما عنده أي ذنب في حاجة، وحتى هم لما جوا وقالوا ليه ثابت دابر يقيل عشان يقعد في الواطة، الضربة ذاتها كانت عن قرب، بينه وبينهم خطوتين، وصوبوها نحو مخه طوالي، يعني ضربة ما فيها رحمة، يعني انا الليلة ولدي لو كان مع الناس المتظاهرين ديل انا كنت بقبل بالقضاء والقدر، لكن انا ولدي اتقتل غدر ظلم الناس المتظاهرين ما ضربوهم بل جروا بدل ما يسكوهم كتلوا الناس الأبرياء ولدي كان جالس لو سألتوه من الرئيس لا يعرفه ولد طفل

بريء لا يعرف شيء لا يعرف سياسة زول مسكين، وحتى بعد الجثمان ما راعوا حرمة الموتى نحن شايلنه وباكين وجرحنا نازف ولسه ما زالوا بضربوا في الرصاص وبضربوا في البمبان يعني كان قصدهم شنو يعني نحن نخليه نجدعه ليهم ولا شنو؟ نحن قبلانين بحكم الله لكن دايرين حق ولدنا انا دايرة حق ولدي انا لي تسعة يوم ما نمت ما عشان ولدي مات لكن عشان مات غدر، لو كان مات موتة طبيعية ولا موته زيو وزي الناس كنت قبلت بحكم الله، لكن ولدي انغدر وميتة ما فيها رحمة ميتة في الراس معروفة الراس ده لما ينضرب الزول بموت، كانوا يعطلوا رجلينه يعملوا ليه اي حاجة لكن ما يضربوه في الراس، حتى منظره ذاته منظر شنيع ما في زول بقدر يتحمله نحن ما بشرية؟ نحن ما ناس؟ نحن مسلمين، نحن ما كفار عشان نضرب بالطريقة دي. لكن حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، ربنا يخلص حقي في الدنيا قبل الآخرة، كل لحظة ألم انا عشتها اتمنى رب العالمين ينتقم منها في الدنيا قبل الآخرة، أي لحظة الم انا ضقتها خليتها لله والرسول انا ما عافية نهائي، خليت ولدي في البيت وجيت لقيته في المقابر، أنا ما عافية خالص خالص.

١١- شهداء الجريف:

خرجت الجريف شرق ظهر يوم الجمعة ١١/٦/ ٢٠١٥ في مظاهرات حاشد على خلفية مشكلة تعويضات الأراضي.

فاستهدف رصاص النظام صدورهم العارية بصورة وحشية فاستشهد منهم:

أ- أحمد العبيد

ب- أكرم شرف الدين

ج- أحمد جاه الله

ثم ظلت الجريف في اعتصام دام لأكثر من ثلاثة أشهر.

من بيوت أشباح الإنقاذ:

١- الشهيد عبد المنعم سليمان:

في مطلع يناير١٩٨٩ اعتقل الشهيد «عبد المنعم سليمان» أحد القادة البارزين لنقابة المعلمين وعمره ٦٠ عاماً، وفي ٢١ يناير ١٩٩١م تم قتله.

عند اعتقاله اقتيد إلى أحد «بيوت الأشباح» حيث تعرض برغم كبر سنه لأسوأ أنواع التعذيب الوحشي وهو مصاب بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين. وفي أواخر ديسمبر ١٩٨٩ تقرر نقله الى سجن كوبر بعد أن تعرض لكل أنواع التعذيب لما يقارب شهر، ثم في ١٦ فبراير من عام ١٩٩٠ تقرر ترحيله لسجن «شالا» في غرب السودان وهو سجن لا تتوفر فيه ابسط مقومات الرعاية الصحية وعلى الرغم من اعتراض السلطات المختصة في سجن كوبر على ترحيله إلا أن الأجهزة الأمنية رفضت ذلك وتم ترحيله ضمن مجموعة من المعتقلين في أول أبريل ١٩٩٠م.

وفي سجن شالا ساءت حالته الصحية وتعرض لنوبات متكررة من إغماءات السكر وفقدان البصر، فنقل إلى مستشفى الفاشر حيث بقي تحت عناية طبية مكثفة، قرر بعدها القومسيون الطبي بالفاشر ضرورة ترحيله للخرطوم وذلك في مايو ١٩٩٠، إلا أن السلطات الأمنية ظلت تماطل هذا القرار. وأخيرا تم نقله في سبتمبر ١٩٩٠ الى مستشفى السلاح الطبي بأمدرمان وبقي تحت المراقبة الطبية الدقيقة ومن ثم قرر أطباء السلاح الطبي سفره إلى الخارج للعلاج إلا أن السلطات الأمنية قررت فجأة في يوم ١٨ نوفمبر ١٩٩٠ إرجاع جميع المعتقلين السياسيين المرضى إلى سجن كوبر.

في حوالي الساعة الثانية من صباح ٢١ يناير ١٩٩١ بدأ الشهيد عبد المنعم سليمان يشعر بصعوبة في التنفس وألم بالصدر، قام الأطباء المعتقلون بمعاينة حالته

وهم:

د. عبد المنعم حسن الشيخ

د. سعد الأقرع.

د. حمودة فتح الرحمن

ولما لم يكن متوافرًا أية أجهزة طبية أو أي دواء داخل السجن، فلم تكن الجهود التي بذلوها مثمرة، فقام المعتقلون بإخطار إدارة السجن عن طريق الصياح والمناداة على الحراس والضرب على الأبواب الحديدية لأقسام السجن بالأيدي والحجارة ولكن دون جدوى، حيث كان المعتقل المخصص للسياسيين مفصولا عن الإدارة وكان مكانه بعيدًا عن حراس السجن والذين حال البرد الشديد دون أن يستمروا في طوافهم العادي فوق سور السجن.

ولكن لم تفتح أبواب السجن إلا في الساعة السادسة صباحًا حيث كان الشهيد قد أسلم الروح قبلها بدقائق معدودة.

المرضى الذين تم تحويلهم مع الشهيد إلى السلاح الطبي:

١- د. خالد حسين الكد، مريض بالقلب – قرر القومسيون الطبي سفره في سبتمبر ١٩٩٠.

٢- عقيد (م) مبارك فريجون، مريض بالسكر.

٣- محمد الأمين سر الختم، مريض بالقلب، قرر القومسيون سفره في سبتمبر ١٩٩٠

٤- حسين شقلبان، مصاب بقرحة المعدة والتهاب البنكرياس ثم تم استئصال جزء من معدته

٥- د. محمد حسن باشا، ربو متكرر ويحتاج لأكسجين باستمرار.

٦- إبراهيم الخليل، قرحة بالمعدة أجرى عملية في أكتوبر ١٩٩٠

٧- د. معاذ إبراهيم، قرحة في المعدة – التهاب الركبتين.

٨- د. حمودة فتح الرحمن، التهاب الركبتين مع عدم القدرة على الحركة.

٩- عمر الأمين، قرحة بالمعدة.

رفض الأطباء المعالجون مبدأ إرجاع المرضى خاصة الأستاذ الشهيد عبد المنعم سليمان ولكن قائد السلاح الطبي اللواء محمد عثمان الفاضلابي، قرر تحمل المسئولين تنفيذ قرارات السلطات الأمنية وتم ترحيل الشهيد مع (١١) معتقلاً أخر إلى سجن كوبر، ووضعوا في أحد الأقسام العادية دون توفير أي متطلبات للرعاية الطبية. دخل المرضى الذين تم تحويلهم بما فيهم الشهيد عبد المنعم سلمان في إضراب عن الطعام لمدة يوم بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٩٠، وثم رفعوا مذكرة جماعية لسلطات السجون ووزير الداخلية، يؤكدون فيها حاجتهم للرعاية الطبية بالسجن حيث كان المكان المعد لإقامتهم خالياً حتى من ماء الشرب العادي ولا يوجد أطباء أو ممرضون ولا توجد أدوية على الإطلاق. ولما لم تستجب السلطات لنداءات المرضى قرر بقية المعتقلون السياسيون في كل أقسام السجن الإضراب والاحتجاج على وضع المرضى ورفعوا مذكرة للسلطات. نفذ الإضراب لمدة ثلاثة أيام، ونتج عن ذلك الإضراب أن اخذ إلى بيوت التعذيب عددًا من المعتقلين واعيدوا مرة أخرى إلى سجن كوبر بعد أن تم تعذيبهم ووضعهم في الحبس الانفرادي، كان من بينهم «دكتور حسين حسن حسين ودكتور معاذ إبراهيم».

ولما بدأ الشهيد يحس بوطأة المرض وتدهور حالته الصحية بدأت المطالبة بضرورة نقله للمستشفى للعلاج ومتابعة الفحوصات، ورفع في هذا الخصوص الراحل مذكرات شخصية أخرها كان بتاريخ ١٤ يناير ١٩٩٠ أي قبل أسبوع واحد

من استشهاده، والتقى مدير السجن بالإنابة (العقيد حجازي) لمرتين شارحاً له حرج موقفه الصحي وكذلك قدم (الدكتور أمير) طبيب السجن تقريرًا لحالة الشهيد وقام برفعه لإدارة السجن إلا أن إدارة السجن تجاهلت كل ذلك وكذلك جهاز الأمن.

حاول الأطباء المعتقلون جهودهم في شرح الموقف الصحي للمرضى الذين تم نقلهم من السلاح الطبي – حيث قدموا تقريرًا وافيًا لكل حالات المرض مع التركيز على حالة المعلم الشهيد عبد المنعم سلمان.

٢- الشهيد طبيب علي فضل:

« لقد كان باراً بي وبوالدته وأشقائه وأهله وجيرانه، قدم روحه فداء الشعب ووطنه، لقد عفوت عنه». هذه الكلمات المباركة الصادقة القاها النقابي البارز «فضل احمد» بحق ابنه الشهيد طبيب «علي فضل».

الطبيب علي فضل احمد من مواليد الخرطوم (الديوم الشرقية) في ١٧ أبريل ١٩٥٠ تلقي تعليمه الابتدائي ببخت الرضا، والأوسط بالخرطوم الأميرية، ثم الخرطوم الثانوية الجديدة. وفي عام ١٩٧٠م التحق بكلية الطب ولظروفه الأسرية تخلى عن الدراسة وعمل بمصلحة المخازن والمهمات ثم عاد إلى الجامعة مرة أخري ليكمل دراسته بجمهورية مصر العربية حيث تخرج في كلية الطب عام ١٩٨٠م. ثم التحق بكلية الطب – جامعة الخرطوم – لنيل ماجستير طب المجتمع.

شارك «علي فضل» في كل المعارك النقابية حتى سقوط الحكم الدكتاتوري في ٦ أبريل ١٩٨٥م.كما قدم مساهمات علمية في مؤتمر نقل الخدمات الصحية إلى الريف عام ١٩٨٧. بدأت حكايته عندما اعتقل في فجر ٣١ مارس ١٩٩٠ ونُقل بواسطة مدنيين ملتحيين بسيارة (بوكس تويوتا موديل ١٩٧٨ تحمل الرقم

٢٧٧٧). نتيجة لبلاغ قُدم لعضو اللجنة الأمنية د/ الطيب إبراهيم الشهير بـ(الطيب سيخه) بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٨٩ حيث جاء في حيثيات البلاغ الذي قدمه عميل الأمن المدعو (محمد الحسن احمد يعقوب) المتهم في قضية فساد الأراضي: « إن علي فضل يعد أحد مدبري إضراب الأطباء الشهير في ٢٦ نوفمبر١٩٨٩».

تأكد لاحقاً أن الشهيد تعرض للتعذيب في نفس يوم اعتقاله بأحد المواقع السرية (بيوت الأشباح) وأصيب بجرح غائر في رأسه وتمت خياطة الجرح في موقع التعذيب، وبعد ذلك لم يكفوا عن تعذيبه وهناك شهود عيان على عمليات التعذيب التي تعرض لها وهم الذين اجبروا جلاديه على نقله للمستشفى، وقد حرم طوال تلك الفترة من الأكل والشرب والاستحمام. وفي يوم ٢٠ أبريل ١٩٩٠ أصيب بعدة ضربات نتج عنها نزيف داخلي بالمخ ودخل بعدها في غيبوبة.

وفي الرابعة والنصف من صباح يوم ٢١ أبريل ١٩٩٠ نقل الرائد «أزهري باسبار» الشهيد إلي المستشفى العسكري بأم درمان وهو في حالة غيبوبة كاملة. وبضغوط مباشرة من رجال الأمن الذين احضروه للمستشفى بخطاب من مدير جهاز الأمن، ومن ثم بتدخل مباشر من قائد السلاح الطبي (اللواء دكتور فاضلابي) اضطر العاملون بحوادث الجراحة استقبال الشهيد كمريض عادي دون اتخاذ إجراءات قانونية سليمة، فأشرف على علاجه الرائد طبيب «احمد سيد احمد» نائب قسم الجراحة وأحد العناصر الموالية للجبهة الإسلامية القومية. وبعد الخامسة صباحاً استدعي قائد السلاح الطبي الأخصائي المشرف علي القسم الذي أمر بفتح الملابس الملتصقة بجسد الشهيد بواسطة مقص، عندها فاضت روحه الطاهرة إلي بارئها.

ثم سجّل الأخصائي الوقائع التالية:

١- جرح غائر في الرأس متقيح وعمره ثلاثة أسابيع.

٢- مساحة 3.5 بوصة نزع منها شعر الرأس انتزاعاً.

٣- البطن منتفخة، وتأكد باستخدام القسطرة أن المثانة فارغة والأرجح أن الحالة هي نزيف داخلي بالبطن.

٤- كدمات بأحدي العينين، وبالأخرى آثار حريق يرجح انه بأعقاب السجائر.

في الساعة الحادية عشر صباحاً كتب «دكتور بشير مختار» الذي قام بتشريح الجثمان، بمعاونة «دكتور احمد سيد احمد» تقريراً عزا فيه سبب الوفاة إصابة الشهيد بحمى الملاريا!! وقد ثبت من بعد انه لم يقم بتشريح الجثمان إطلاقا بل اكتفي بالنظر إليه فقط.

قُتل الشهيد «علي فضل احمد» في الغرفة الغربية الملاحقة لدورة المياه الخارجية وهي عبارة عن زنزانة يطلق عليها غرفة (كبج) لمكوث الخبير الاقتصادي «محمد إبراهيم كبج» بداخلها لمدة ستة أشهر متواصلة.

المسؤولون مباشرة عن تنفيذ قتله هم:

١- مقدم عبد العظيم الرفاعي – مدير الجهاز في ذلك التاريخ.

٢- رقيب أمن العبيد – المشرف علي المنزل وهو من أبناء مدينة الكوة.

٣- رقيب أول الأمين من أبناء الفتيحاب.

٤- جندي نصر الدين محمد.

الإنقاذ تأكل أبنائها:

مسلسل تصفيات واغتيالات الإنقاذ لأبنائها بدأ في الساعات الأولى من فجر ٣٠ يونيو ١٩٨٩، فكان أول الضحايا الرائد طبيب «احمد قاسم» أحد المشاركين المنفذين في الانقلاب ،كان عضوا ملتزما في التنظيم وحتى الآن فان سيرته لا تأتي

إلا عرضا بل والذين أوردوها فسروا الأمر بأن هناك خطأ ما حدث وأدى إلى مقتله وان الكثيرين حتى داخل التنظيم لا يعرفون شيئا عن وقائع وظروف اغتياله، وقد كانت المهمة التي أوكلت للمرحوم هي اعتقال قيادات الحزب الشيوعي ووفقا لرواية الراحل الأستاذ «التجاني الطيب» فأحمد قاسم هو من قام باعتقاله وكان يتوعده انه بصدد اعتقال كل قيادات الحزب الشيوعي وانهم لن يستطيعوا الهروب منه، وقد كان في لحظات نشوة وسرور، لكنه لم يكن يعلم أن إخوته خوانون بمستوى يفوق الوصف سيفتكون به قبل الفتك بأعدائهم. ثم وفاة الدكتور العبيد عبد الوهاب في ظروف غامضة. وبعدها توالت الاغتيالات فكانت على النحو التالي:

١- اغتيال المهندس محمود شريف أمير المجاهدين:

المهندس محمود شريف أوكلت له مهمة إدارة الهيئة القومية للكهرباء في الخرطوم، وقد كان من المعروفين داخل التنظيم بالاعتداد بآرائهم، فقد وقف أكثر من مرة حائلا دون فصل وتشريد العديد من زملائه المهندسين المناوئين للإنقاذ، وعندما كانوا يمارسون عليه ضغوطا لفصلهم كان يرفض ذلك بشكل قاطع، ذهب إلى الجنوب ضمن حملات التفويج والتي كانت تسمى بالجهاد، ومن ساعتها وأسئلة كثيرة تدور حول ظروف وملابسات موته.

٢- اغتيال أحمد محجوب:

تم قتل أحمد محجوب الشهير بـ«حاج نور» في جنوب السودان ويبقى السؤال هل مات الرجل بالرصاص من مقاتلي الحركة الشعبية كما يزعمون؟ أم في الأمر [illegible] وأعوانها؟

٣- اغتيال ياسر عبد الحفيظ:

كان ياسر عبد الله عبد الحفيظ من أبناء مدينة كوستي، يعمل موظفا في بنك فيصل الإسلامي بجانب رتبة كبيرة في جهاز الأمن.

كانت وقائع اغتياله في غاية القسوة، حيث اخترقت صدره ٧ رصاصات قاتله فقد وجد جثمانه داخل عربته وهو متكئ على مقود السيارة، قاموا بارتكاب تلك الجريمة ونفذوها بدم بارد، ثم اتهموا صديقه الصدوق «الطيب عبد الرحيم» باغتياله فحكموا عليه بالإعدام شنقا في سجن كوبر.

٤- اغتيال المهندس علي أحمد البشير:

المهندس علي أحمد البشير قطع دراسته الجامعية من أجل أن يتولى منصبا أمنيا كبيرا فأدار ملفات أمنيه كبيرة غاية في الخطورة ثم تمت تصفيته بدم بارد أمام زوجته وأطفاله الصغار في منزله في الدروشاب بالخرطوم بحري تحت دعاوى وحجج واهية ثم تم طي ملف جريمة اغتياله بالطريقة المعهودة للإنقاذ وظلت أسرته تلاحق تطورات قضية مقتله التي انتهت إلى لا شيء في ظل عدالة الجبهة الإسلامية القومية.

٥- اغتيال العقيد بيويو كوان:

العقيد «بيويو كوان» هو أول من تم اغتياله من أعضاء مجلس قيادة الانقلاب، فقد مات في ظروف غريبة وغامضة ومبهمة، وان موته جاء بعد أن رفض الاستمرار في عمله «بالمجلس العسكري العالي لانقلاب الإنقاذ» ورفض الالتزام باي توجيهات صادرة عن هذا المجلس بسبب أن الضباط الكبار بهذا المجلس لا يكنون له أي احترام أو تقدير، ولا يراعون حقوق الزمالة معه، لذلك فضل أن يبقى ضابطا عاديا بالقوات المسلحة مثله مثل آلاف الضباط في صفوف الجيش السوداني. إلا أن «كوان» دفع ثمن إصراره وتغيبه عن أعمال المجلس فقد وجد مقتولا في منزله، بعد أربعة أيام فقط بعد أخر لقاء له مع أحد قيادات المجلس.

٦- مصرع اللواء الزبير محمد صالح:

كان اللواء الزبير محمد صالح يشغل منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية حتى العام ١٩٩٨ عام تصفيته جسديا مع سبق الإصرار والترصد في حادثة سقوط الطائرة الحربية الروسية التي هوت به في بحر «السوباط» بطريقة لفها الغموض وأخفيت فيها الحقائق عن أعين الناس، وذلك بمنع النشر وحجب الأخبار حول وفاته، ولكن رغم صرامة وشدة الرقابة الأمنية على الصحف بعدم تناول أخبار سقوط «طائرة الانتينوف» الروسية، فان هذا لم يمنع الصحف من نشر الجديد والمثير عن خفايا وأسرار مصرع اللواء الزبير. فقد ألمح «محجوب فضل بدري» السكرتير الصحفي السابق لعمر البشير إلى أن اغتيال النائب الأول لرئيس الجمهورية الأسبق – بسبب تكالب «جهة» لتحل محله. تلك الجهة هي، الراحل الترابي ليحل محله «علي عثمان» أو «صلاح قوش». لأن مؤامرة اغتياله بتلك الطريقة التي نجا منها البعض، تؤكد هذا الزعم. كما أن الزبير نفسه كان يقول عن الترابي ومنذ أيام الإنقاذ الأولى: « زولكم ده داير الكرسي» فكان «الإخوان» يهمهمون بالاستغفار عند حديثه عن شيخ حسن.

٧- قصة مصرع إبراهيم شمس الدين:

قصة مصرع إبراهيم شمس الدين هي واحدة من القصص الغامضة المبهمة مثلها ومثل قصة وفاة العقيد بيويو كوان واللواء الزبير محمد صالح. فقد جاءت الأخبار في يوم الخميس ٥ أبريل ٢٠٠١ أفادت أن ١٤ ضابطاً سودانياً وجندي واحد، بينهم عدد من القيادات البارزة في الجيش السوداني، والعقيد إبراهيم شمس الدين وزير الدولة بوزارة الدفاع وأحد أعضاء مجلس قيادة الانقلاب السابق قد قتلوا يوم الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠١ بسبب انحراف الطائرة عن المدرج لدى هبوطها في مطار عداريل، وأشارت أخبار أخرى إلى أن سوء

الأحوال الجوية في المنطقة تسبب بسقوط الطائرة. وقد استبعدت المصادر الرسمية تعرض الطائرة لأي قصف، بينما نفت مصادر الحركة الشعبية لتحرير السودان التي يقودها العقيد الراحل جون قرنق وجود أية علاقة للحركة بمسألة سقوط الطائرة قائلة انه ليست لديها أي قوات في هذه المنطقة، وحتى اليوم ورغم مرور ١٨ عاما على مصرع إبراهيم شمس الذي مات متفحما بعد انفجار الطائرة التي اصطدمت بجدار مبني المطار، مازال لغز مصرعه غامضا.

٨- اغتيال الصحفي محمد احمد طه وإعدام أبناء دارفور:

يقول الكاتب «الدومة إدريس حنظل» في مقال بعنوان « الحقيقة المُرة لإعدام أبناء دارفور واغتيال الصحفي محمد احمد طه» لقد تم اغتيال الصحفي محمد أحمد طه في عام ٢٠٠٦م من قبل عناصر جهاز الأمن الوطني، وذلك لدور الأستاذ محمد طه في كشف ملابسات ،وحقيقة مشاركة مجموعات مقاتلة من الجيش السوداني، من وحدة المدفعية في حرب تموز التي جرت بين حزب الله اللبناني، والجيش الإسرائيلي؛ فقد نشر الأستاذ محمد طه، في مقاله الأخير بجريدة الوفاق الذي يرأس تحريرها بأن هناك مجموعات من قوات الشعب المسلحة السودانية، قد تم ترحيلها سراً إلي لبنان للقتال إلى جانب حزب الله مقابل حصولهم على مبلغ مالي قدرة ٦٠الف دولار لكل فرد! وقد استلم أفراد هذه المجموعة المرتزقة والذين ينحدر غالبيتهم من غرب السودان مبلغ ١٠الف دولار أمريكي من الخرطوم، من أصل المبلغ المتفق عليه بين الحكومة السودانية الانتهازية، وحزب الله، وهو الأمر الذي ازعج السلطات السودانية، في ذلك الوقت ،خاصة وان محمد طه، قد وعد القراء بأنه، سوف يواصل في كشف كل الحقائق للشعب السوداني، وهو الأمر الذي جعل السلطات تفكر في التخلص من محمد أحمد طه قبل أن ينشر المقال الثاني، الذي وعد فيه بكشف خيوط المؤامرة الدنيئة، التي تقف من ورائها الحكومة الإيرانية، والسلطات السودانية، وحزب الله اللبناني، في

ذلك الوقت . وبالفعل قامت عناصر جهاز أمن البشير، بتنفيذ عملية اغتيال الصحفي محمد أحمد طه بدم بارد بعد أن اختطفته من أمام منزله نهاراً جهاراً، وهي تعلم بان أصابع الاتهام سوف لن توجه إلى الحكومة السودانية، لأن محمد طه سبق، وان كتب مقالات فيها إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم واتهم فيها بنات دارفور، بأنهن يمارسن (الدعارة)! وما يقال عن اغتصاب للنساء في دارفور ما هو إلا مجرد هراء! وهو ما أثار ثائرة أبناء دارفور عقب نشر المقال، وقاموا بحرق مقر الجريدة، ولكنهم لم يفكروا قطعاً في قتله؛ ولذلك رأت الحكومة السودانية، فرصة سانحة، أن تتخلص من محمد طه، لتقوم بتوجيه الاتهام فيما بعد، إلى أبناء الفور زوراً وبهتاناً، على خلفية ما جري بين المجموعة التي أقدمت على حرق مقر الجريدة. إلا أن الحقيقة المُرة تتمثل في دور محمد أحمد طه في كشف إرسال الحكومة السودانية؛ لعدد من أبنائها بالقوات المسلحة بسلاح المدفعية للقتال تحت قيادة حزب الله ضد إسرائيل! وفشل الحكومة في الوفاء بوعدها في تسديد المبالغ المتفق عليها؛ أي أن السودان بات دولة تعتمد على سياسية الارتزاق، ولا تعير قوانين القوات المسلحة اي اهتمام. وكما تعلمون فقد وجهت الحكومة أصابع الاتهام إلى الأبرياء من أبناء دارفور بالعاصمة القومية لزر الرماد في العيون! وقد بلغ عدد من اعتقلوا في هذه الجريمة أكثر من مائتين وثمانية عشر متهما حيث تقلص عددهم إلى تسعة أشخاص هم:

١- اسحق محمد السنوسي

٢- مصطفى ادم

٣- حسن ادم

٤- ادم إبراهيم

٥- محمد خير

٦- جمال الدين عيسى

٧- عبد المجيد على عبد المجيد

٨- صابر حسن

٩- عبد الحي عمر.

الذين أعدموا ظلماً وعدواناً. ولتأكيد براءة أبناء الفور المتهمين في هذه القضية من دم الصحفي محمد طه، فقد التقيت والكلام لـ «الدومة حنظل» ببعض من الجنود الذين تم إرسالهم للقتال في جنوب لبنان، مع كتائب حزب الله، ضد دولة إسرائيل، وكان عددهم (١٦٥) جندي سوداني من المدفعية، وأكثرهم من أبناء دا[ر] فور للقتال بجانب حزب الله، وبتوجيه من الجمهورية الإيرانية! لان هؤلاء المقاتلين قد تلقوا تدريباً متقدماً في الراجمات، ومنصات الصواريخ المتحركة تحت إشراف مدربين من الجيش الإيراني! شارك هؤلاء المرتزقة في القتال بين حزب الله وإسرائيل، فقتل منهم (٣٢) جنديا وأصيب (٢٥) إصابات بالغة وتبقى منهم (١١٣) جندي حيث طالبوا جماعة حزب الله بتسليمهم ما تبقي من المال المتفق عليه وقدرة ٦٠ ألف دولار أميركي لكل فرد من أفراد المجموعة التي شاركت في العمليات الحربية ضد إسرائيل إلى جانب حزب الله اللبناني. إلا أن المسؤولين بحزب الله قد ابلغوا المرتزقة المطالبين بهذه المبالغ بأنهم قد سلموها حكومة الخرطوم، وبالتالي عليهم الذهاب إلى الخرطوم لاستلام ما تبقي لهم من الأجر ولكنهم رفضوا ذلك، وأصروا على أن يتم تسليمهم المبلغ بأي حال من الأحوال فامرتُهم سلطات حزب الله اللبناني بالصعود إلى الطائرة وسيتم تسليمهم المبلغ داخل الطائرة، ولكنهم رفضوا هذا الطلب، وبالتالي أمرت السلطات السودانية حزب الله عندما علمت بموقفهم بتصفيتهم ؛ فهرب الجنود إلى إسرائيل طلباً للحماية، وتجنب التصفية الجسدية؛ من قبل حزب الله والسلطات الأمنية السودانية. هذه هي القصة والمأساة الحقيقية، التي أراد الكاتب الصحفي الشجاع محمد طه، أن يسرد كل تفاصيلها للقراء وهي حقائق ومعلومات في غاية الأهمية، والخطورة فإذا ما تم نشرها فقد تطال المسؤولية كل من شارك في هذه العلمية القذرة والتي تتعارض مع القوانين الوطنية لقوات الشعب المسلحة، ومع كافة نواميس القانون الدولي لذلك قامت السلطات باغتياله، واتخذت من الأرواح البريئة لأبناء الفور كبش فداء في قضية (لا ناقة ولا جمل لهم فيها).

وبالعودة إلى قصة اغتيال محمد طه، سوف نذكركم بأن اغتياله الغادر قد تم في شهر سبتمبر والحرب في جنوب لبنان قد انتهت في ٢٢/٨/٢٠٠٦ م بمعنى أن الخلاف الذي أدى إلى اغتياله هو عدم الالتزام بما تم الاتفاق عليه من مبلغ مقابل ما أنجز! ثم إذا رجعتم وتابعتم محامي الدفاع في القضية كان لديهم طرف الخيط لكشف الحقيقة المُرة؛ بطلبهم من المحكمة، أن تكشف عن حسابات، الأستاذ محمد طه، وفيلاته الخمسة! ولكن السلطات الأمنية قد منعتهم من كشف الحقائق المُرة، وأيضاً للأسف الشديد (زاد الطين بله) الفتوى الذي أصدرها علماء السلطان وأبواق الدعاية الكاذبة، ما بعد المحاكمة الجائرة الظالمة الفاسدة، بالردة رغم الاستتابة والغرامة والاعتذار الصريح المباشر من الأستاذ محمد طه! إلا أن الفتوى الباطلة، صدرت للمرة الثانية لتغطية الرأي العام؛ لتبرير اغتيال الصحفي محمد طه! وتشتيت التهمة ما بين التكفيريين وأبناء الفور.

أما بالنسبة للمقاتلين المأجورين الذين قاتلوا بجانب حزب الله اتفاقهم كان على تركيب المنصات والتدريب، وليس القتال في الصفوف الأمامية لكن الأمر تم لأشياء أخرى.

لأن مهندس الصفقة السمسار «عبد الرحيم محمد حسين» أو «فردة الرئيس» كما يُعرف لدى «جوقة القصر» صاحب النفس « الخبيثة الشريرة» يريد خلاف ذلك.

إذن الخلاف هو الذي أدى لاغتيال الصحفي محمد طه ونقصد بالخلاف عدم التزام «ضل الرئيس» عبد الرحيم محمد بدفع ما عليه من التزام تجاه الخونة والمرتزقة، ولعلم «محمد طه» المسبق بالاتفاق لارتباطه بالشيعة بالسودان باعتباره الراعي لمعظم أنشطتهم! ولاختلافه الحاد مع «ضل الرئيس» ظهرت هذه الخلافات للعلن في ذلك الوقت، دون أن يعلم أحد الأسباب الخفية وراء ذلك فهدد «محمد طه» بفضح الأمر فكان ما تم. ومن المؤسف والمحزن أن بعض السودانيين يظنون حتى الآن أن من قتل الصحفي محمد طه هم جماعة الهجرة والتكفير.

٩- مجذوب الخليفة هل قُتل بفعل فاعل؟

مجرد سؤال نطرحه على المؤتمر الوطني نريد إجابة شافية عليه لأن الدكتور مجذوب الخليفة أحمد كان يشكل ضلعا مهما في تركيبة سلطتكم الحاكمة وأحد أهم مراكز القوى فيها. فكيف يموت في حادث مروري ادعيتم إنه وقع نتيجة لانفجار إطارات سيارته الأمامية، واحد إطاراتها الخلفية؟ مع العلم أن الرجل كان يعمل مستشارا لرئيس الجمهورية ويفترض أن تكون له سيارة على درجة عالية من الحماية وسائق كفء ومدرب.

هل هذا يعني أن حرب التصفيات بدأت تشتعل داخل مراكز قوتكم المزعومة مجرد سؤال برئ أبتغي به وجه الله. وهل قرار تصفيته تمت مناقشته في اجتماع مغلق ضم عصابة الخمسة الكبار؟

في ٢٨ يونيو/ حزيران ٢٠٠٧ توفي مجذوب الخليفة مستشار الرئيس البشير في حادث سير شمال الخرطوم على بعد ١٢٠كلم. وقال مصدر رئاسي إن الخليفة وشقيقه توفيا وجرح أفراد آخرون من أسرته في الحادث.

ومما يجدر ذكره أن «مجذوب الخليفة» يعتبر أبرز الساسة الذين رافقوا الرئيس عمر البشير منذ وصوله إلى السلطة عام ١٩٨٩. لذلك ليس غريبا أن يشغل مناصب عدة بينها والي الخرطوم ووزير الزراعة قبل أن يصبح مستشارا للرئيس السوداني.

وللذين لا يعرفون «الخليفة» جيدا نقول لهم إنه أحد غلاة المتطرفين داخل الجبهة الإسلامية القومية ومن المنفذين لانقلاب ١٩٨٩.

في يوم الانقلاب المشؤم أوكلت له مهمة احتلال دار الهاتف مع آخرين، كما كان مشرفا على قطاع النقابات في الجبهة الإسلامية، وعقب نجاح الانقلاب كانت له بيوت أشباح خاصة يتم فيها تعذيب المعتقلين، أما داخل التنظيم ووفقا لروايات رفاقه يقول البعض منهم أن الرجل كان جادا وساعيا بكل ما يملك لحكم السودان، وكان لا يلتزم بكثير من الذي يملى عليه من أوامر.

ويبقى أن أقول إن الطريقة التي مات بها وهي إرخاء (صواميل) إطارات سيارته تطرح علامات تعجب كبيرة، لكن المتابع البسيط يصل لقناعة أن ذلك تم بفعل فاعل.

١٠- من قتل زعيم حركة العدل والمساواة خليل إبراهيم؟

في يوم الأحد ٢٥/١٢/٢٠١١ أفادت تصريحات الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة السودانية العقيد «الصوارمي خالد» معلنة أن القوات المسلحة السودانية تمكنت من قتل زعيم حركة العدل والمساواة الدكتور خليل إبراهيم مع عدد من قادة قواته، في منطقة «ود بندة» بولاية شمال كردفان، وأن مقتله قد تم بعد معارك ضارية بين القوات المسلحة وقوات خليل التي هاجمت المنطقة. واتضح فيما بعد كذب نظام البشير كالعادة وتبين أن «خليل» قد قتل بصاروخ انطلق من طائرة مجهولة، وأصابع الاتهام أشارت إلى: «قطر، تشاد، إيران، وروسيا».

١١ - اغتيال الملازم أول شرطة غسان:

في صباح الخميس ١٤ مايو ٢٠١٥ توفي بمستشفى «فـؤاد الطبـي » بـالخرط الملازم أول شرطة «غسان عبد الرحمن بابكر» أحد المتهمـين السـابقين في قضـ فساد مكتب والي ولايـة الخرطـوم عبـد الـرحمن الخضـر، إثـر إصـابته في حـاد اصطدام سيارته بعربة أخرى كانت تسير في الاتجـاه المعـاكس نـتج عنهـا فقدا للوعي لمدة (٢٤) ساعة.

غسـان كـان يعمـل بمكتـب والي ولايـة الخرطـوم، اسـتطاع الحصـول عـ تصديقات لبيع أراضي وسيارات حكومية بمليارات الجنيهات تجاوزت (ال ١٠ مليار جينه سوداني حولها لمصلحته الشخصية لكنه لم يقدم لمحاكمة حتى وفاته

الحقيقة تعرض «غسان» للاغتيال بحادث دبر له في شارع الستين بـالقرب منزل أسرته الكائن بلفة جوبا. وهذا ما أكده أحد أفراد شرطة المرور الذين رسـ الحادث كما انه لا يوجد شهود على أن غسان قد تخطـى إشـارة المـرور الحمـ كما تحدث البعض.

إذن غسان قتلته المعلومات الخطيرة التي يملكها عن قضية فساد مكتب الـو وتورط بعض النافذين ومنهم شقيق «الرئيس البشير» مع والي الولايـة في القضـ فقد تمت تصفيته، خاصة وان لأجهزة الإنقـاذ خبـرة في هـذا المجـال وقـد سـ وتخلصوا من أشخاص من الوزن الثقيل مثل «صلاح الصديق المهـدى» و«عـ نـور الـدائم» و«الزبيـر محمـد صـالح» و«ابـراهيم شـمس الـدين» و«مجـذ الخليفة». وهذا ما أكده غسان بنفسه عندما قال: « إن شخصيات نافذة في الحكـ وجهاز الأمن قاموا بتهديدي بالتصفية في حال قيامي بكشف القيادات التـي تقـ خلف فساد مكتب الوالي». وأيضا ما كشفه لضباط الأمن الذين حققوا معه داخـ السجن بأن «أحمد عبد الرحمن الخضر» - نجل الـوالي - و«محمـد الكامـل» مـ

والي و«عباس أحمد البشير» شقيق عمـر البشـير و«مهـدي إبـراهيم» القيـادي في المؤتمر الوطني طلبوا منه العمل معهم في بيع وشراء الأراضي، وتجـارة العملـة، والسلع الاستهلاكية بعلم الوالي شخصياً، موضحاً أن «الوالي» شخصياً طلب منـي العمل مع ابنه وصهره، ولم أقم بتزوير ختم الوالي لبيع وشراء الأراضي وكان لـدينا مكتب استثماري لبيع وشراء الأراضي يديره «محمد الكامل» زوج إحـدى بنـات الوالي الخضر. وأن «عباس أحمـد البشـير شـقيق الـرئيس ومهـدي إبـراهيم» كانـا يعملان مع «محمد الكامل» ويـديران كافـة المعـاملات التجاريـة عبـر المكتـب الاستثماري، وأن نصيبي من عمليات بيع الأراضي وتجارة العملة لم يكـن سـوى مليار جنيه عبارة عن عمولة متفق عليها، ولكن الجناة الحقيقيون هم ابن الـوالي وصهره وشقيق الرئيس ومهدي إبراهيم الذين نهبوا السبعة مليار، أسس منها أحمـد الخضر ومحمد الكامل مجموعة محطات (أويل ليبيا) وعددا من مزارع الدواجن وشركات الأدوية والمواد الغذائية.

الجدير بالذكر أن غسان كان أحد المتهمـين في قضـيّة فسـاد « مكتـب الـوالي » الشهيرة التي كشف النقاب عنها في إطار صراع أجنحة حزب البشير في أبريـل مـن ٢٠١١ وقد (تحلل) من القضية بدفع حوالي (٩) مليار جنيـه سـوداني قبـل أن يتم إطلاق سراحه.

أشهر قتلى الإنقاذ من الطلاب:

بدأ قتل السودانيين في الجنوب، ثم تم فصله ثـم جـاء القتـل في الشـرق عنـدما حملت بعض فصائل المعارضة السلاح، وقبله كان القتل في دارفـور ثـم في جنـوب النيل الأزرق، وجنوب كردفان، والآن لا تكاد منطقة من «سـودان الإنقـاذ» تخلـو من القتل والتشريد فتم قتل الطلاب والأطباء والتجار والموظفين وغيرهم كثير انهـم «ضحايا» سـودان الإنقاذ».

أسـهـل شيء في «سـودان الإنقاذ» الـحـضاري هـو اغتيال الطلاب بـــدم بـارد وبلا ادنـي إحساس أو تأنيـب ضـمـيـر، لأن الموتى هـــم أبنـاء الأســر الفقيـرة والـمـعـدمـة. والمفارقة رغم أن الإنجليز حكموا السـودان ٥٨ سـنـــة، أسـســوا خلالها كليـة غـــردون التــذكارية «جامعـة الخرطـوم» في نـوفمـبر عـام ١٩٠٢ وحتي لـحظة مـغادرتهـم ورحـيلهـم من البلاد لـم يطلقوا رصـاصـــة واحـدة على أي طالب سـوداني!!! إلا أن نظام الجبهة الإسلامية القومية في غضون أقل من ثلاثة عقود فقط قتل ما لا يحصى من أبناء السودان في القطاع الطلابي. فقـد تفنن وأبدع واجتهد في ابتكار أشد الطرق فظاعة في تصفية الطلاب نرصد منها:

أ- قتلهم رميا برصاص (مليشيا) طلابية تابعة لحزب المؤتمر الوطني!!

ب- قتلهم بواسطة قوات الشرطة عنوة داخل قلـب الجامعـة وذلـك لفـض الندوات الطلابية المسالمة!!

ج- قتلهم عـن طريـق الاختطـاف مـن داخـل الجامعـة واقتيـادهم إلى أمـاكن مجهولة ثم نسيانهم إلى الأبد.

د- قتلهم بطريقة بشعة بعد أن يتم تعرضهم لتعذيب قاسي وتشويهات ثم القـ جثامينهم في مياه الترع والأنهار!!

هـ- قتلهم عمدا (مع سبق الإصرار) داخل مؤسسـاتهم التعليميـة، برصـاص جـهاز أمـن البشير و«وسكاكين» طلاب المؤتمر الوطني!!

الطلاب الإسلاميون هم أساس العنف في الجامعات السودانية:

المتابع للواقع الطلابي السوداني يجـد أن جريمـة قتـل الطـلاب ارتبطـت مـ ظاهرة العنف الطلابي في الجامعات السودانية ونجد أن هذه الظاهرة بدأت كـأول حالة سجلت في جامعة الخرطوم عام ١٩٦٨ بواسطة طلاب إسلاميين ينتمون إلى تنظيم الجبهة الإسلامية القومية آنذاك، تمثلت الحالة في قيام مجموعة من هـؤلاء

الطلاب الإسلاميين بالاعتداء على مجموعة طلاب يقيمون احتفالا تضمن رقصـة شعبية من التراث الشـعبي السـوداني تعـرف باسـم (العجكـو) ونـتج عـن ذلـك الاعتداء مقتل الطالب «سيد عبد الرحمن الطيب» الشهير بـ (كنـة)، ومـن غرائـب القدر أن رأس النظام الإسلامي في السودان الآن «المشير البشير» يجيد كل أنـواع الرقص «الشعبي منها والحديث» وبحرفية عالية.

شهدت فترة الإنقاذ أكبر حملات منظمة للعنـف الطلابـي في سـوح الجامعـات السودانية لا سيما بعد ارتباط الطلاب الإسلاميين بالعمليات والجهاد وهيمنـتهم على دور اتحادات الطلاب حتى جعلوا هناك غرفة خاصة «للسيخ» بكل دار اتحاد طلاب ويقيمون بفتحها حين يحتدم أقل حوار داخل «ركن نقاش» أو نشوب أدنى صراع بينهم وبين التنظيمات المعارضة لهم فيقومون برفـع السـيخ داخـل الحـرم الجامعي وينشرون الزعر والرعب بين جماهير الحركة الطلابيـة وخاصـة الطـلاب الغير منظمين سياسيا.

في يناير ١٩٨٥ انسلخ احد كوادر الاتجـاه الإسـلامي القياديـة في كليـة الطـب جامعة الخرطوم في مدينة بحرى اسمه «عماد» وكان أميرا في الجماعـة، ومـن ثـم أخرج بيانا ضافيا ذكر فيه مجموعة وقـائع عـن مـا يفعلـه الإخـوان المسـلمين في معهد الجامعة وفى رحلاتهم الخاصة وعنـد الانتخابـات ... الـخ فقامـت رابطـة طلاب كلية الطب بطباعة هذا البيان ولما كانت هـذه الرابطـة لا يملكهـا الاتجـاه الإسلامي ، قام أعضائه ليلا بعمل قرصنه وسطو على مكتب الرابطة لسـرقة البيـان المطبوع والمعد للتوزيع من قبل الكادر الإخواني «عماد» ولكن شاء حظهم العاثر أن ينكشفوا وهم داخل مكتب الرابطة فتم القبض على واحد وفر آخر، الذى قبض عليه اتضح أن اسمه «اللازم» مـن كليـة التربيـة تقريبـا. أدانـت التنظيمـات كلهـا بالجامعة هذا السطو من «الكيزان» وقامـت بعـض التنظيمـات بتعليـق بيـان الأخ

التائب في صحفها منها (حزب الأمة والأنصار) و(مساء الخير) جريدة الجبهة الديمقراطية في النشاط واخرج الاتحاديون بيانا مماثلاً وكان آنذاك الاتحاد يديره تحالف القوى الطلابية من دون الإخوان.

فقرر الاتحاد عمل مخاطبه لإدانة هذا الفعل ولكن في يوم الخميس ليلا هاجمت مجموعه كبيره من «الكيزان» غرفه في داخلية «البركس» (ثكنات الجيش البريطاني سابقا) بها طالبين من جبهة «كفاح الطلبة» حوالي الساعة الثانية صباحا، فطرقوا الباب ولما فتح لهم أحد الساكنين هاجموه ببخاخ فيه شطه وبأطواق وسلك كهرباء هو وزميله النائم، عندما علمت التنظيمات السياسية بهذا الفعل قررت عمل مخاطبه سياسية وحشدت كل الطلاب لها فذكرت كل الوقائع منذ السطو على مكتب رابطة الطب حتى ضرب الطلاب ليلا.

ونصبت الميكرفونات وجهزت الساحة التي بالقرب من مكتب معهد البناء للمخاطبة من قبل كل التنظيمات السياسية وكانت البداية مع جبهة كفاح الطلبة وعند عمل أول نداء اذ بفرقه من «الكيزان» تهجم على الميكرفون وعلى الذي هو فيه من الطلبة القليلين وتكسر الميكرفون وتضرب الطلبة وذلك لأن الجامعة كانت فيه فارغه من الطلاب في هذا الوقت لأن أغلب الطلاب يخرجون لبيوتهم أو لذويهم يوم الخميس ويحضرون إما الجمعة مساء أو السبت صباحا، وعلمت التنظيمات بهذا الفعل فقررت فورا مواجهة هذه العصابة من المجرمين الاعتداء كل التنظيمات وقررت تكوين فرقه واحده لردع الكيزان ومع ذلك قيام المخاطبة وتوزيع البيان هذا السبت.

في يوم السبت جاءت كل التنظيمات السياسية مجهزه بحمايتها لإقامة المخاطبة في كلية الآداب وعند التجمع من قبل التنظيمات كان هناك احد كوادر الكيزان يعمل ركن نقاش في الجانب الآخر من النشاط «اسمه عمر» من كلية الهندسة وفجأة خرجت فرق عسكريه من الكيزان كانت مختبئة في الجهة المقابلة

لمكان النشاط وبدأت تقذف بالحجارة كل الطلاب الموجودين مع التنظيمات ثم بدأوا الهجوم بالسيخ والأطواق مع نداءهم الشهير بأننا نريد «الشيوعيين» و«البعثيين» فقط وذلك لدق اسفين التفرقة بين التنظيمات ومحاولة تفرقتهم ولكن التنظيمات فطنت لهذه الحيلة، فبدأت التنظيمات كلها بقذف الكيزان بالملتوف فاحترق منهم طالبين اتضح بعد ذلك انهم من الجامعة الإسلامية.

اشتدت المعركة على الكيزان فبدأوا الانسحاب ناحية الميدان الغربي وهنا حاول أساتذة الجامعة التدخل بين الفريقين بالوقوف في وسط الفرقتين وذلك عندما انهزم الكيزان وبدأوا في الفرار، أصرت التنظيمات على تلقينهم درس ولكن في هذه اللحظة تدخلت السلطة والتي كانوا ممثلين فيها آنذاك، فدخلت قوات الاحتياطي المركزي إلى داخل الجامعة وبدأت في ضرب التنظيمات المناوئة للكيزان وحتى هناك بعض الأساتذة قد تم ضربهم وأخليت الجامعة ومن ثم أصدر مدير الجامعة قرارا بإغلاقها لأجل غير مسمى.

لائحة شرف شهداء الحركة الطلابية في عهد الرئيس البشير:

١- بشير الطيب أول شهيد في عهد الإنقاذ:

الطالب «بشير الطيب» ابن قرية «بلولة» بالقرب من العباسية تقلي بجنوب كردفان استطاع أن يكتب اسمه بدمه في صفحات التاريخ السوداني باعتباره أول من اغتيل من الطلاب في عهد الإنقاذ لتظل روحه الزكية الطاهرة تطارد جماعات الهوس الديني وتلعنهم وتلعن مشروعهم الحضاري حتى ينـدحر إلى أسفل سافلين.

وبعد اغتيال «بشير» توالت اغتيالات الطلاب بشكل «وبائي» طغى على كل الساحات الجامعية والثقافية.

تقول الأحداث أنه في مساء يوم الاثنين ٤ ديسمبر١٩٨٩/ كانون الأول وفي داخل جامعة الخرطوم (السنتر)، فيما بين كلية الاقتصاد والقاعة(١٠٢)، وعند الساعة التاسعة ونصف مساءا اغتيل «بشير الطيب بشير» الطالب بالسنة الخامسة (مرتبة الشرف) كلية الآداب ـ قسم اللغة الإنجليزية، بسكين المدعو «فيصل حسن عمر» الطالب بالسنة الثانية كلية الآداب وشقيق «أمين حسن عمر» القيادي بحزب المؤتمر الحاكم - حيث طعنه وسحب السكين لأسفل محدثا له جرحا واسعا ثم هرب إلى العربة التي كانت تقف على شارع النيل بالقرب من مدخل كلية العلوم حيث كان في انتظاره أربعة من كوادر العنف بالاتجاه الإسلامي لحمايته ثم ظل مختبئا في منزل الطيب إبراهيم محمد خير(سيخه) لمدة شهر تقريبا وبعدها قدم للمحكمة التي أدانته ولكن على طريقة «الجبهة الإسلامية» في تطويع القوانين حيث أحدثوا له ما يسمى «بالدية المغلظة» فجاء حكم المحكمة بإلزامه بدفع مبلغ (٢٥٠٠٠)جنيه ثم تمّ تسفيره إلى طهران ليواصل دراسته.

ومما يجدر ذكره أن «بشير» تعرض قبل موته لمحاولتين لاغتياله، الأولى إبان أحداث العرض المسرحي (سقوط الباستيل) والذي أقامه طلاب كلية الآداب بدار الأساتذة، والثانية أمام مسجد البركس خلال فترة لا تتجاوز الثلاثة أشهر أشترك «قاتله» في المحاولة الأولى والأخيرة.

حُمل بشير بعد طعنه نازفا إلي الوحدة الطبية بجامعة الخرطوم ـ والتي رفضت من باب الكيد تطبيبه ـ فذهبوا به إلى مستشفى الخرطوم ولكن روحه فاضت عند الرابعة صباحا من يوم الثلاثاء ٥ ديسمبر١٩٨٩.

موت بشير أحزن وأغضب جميع الطلاب لأنه كان طالباً مميزا جداً من الناحية الأكاديمية وكان شغوفاً لا يرتوي أبداً من المعرفة، مثلما كان كريماً وشهماً وضاجاً بالكثير من مكارم الأخلاق من شموخ وعزة وكرم وكانت له مروءة نادرة!!

وفي يوم الأربعاء ٦ ديسمبر ١٩٨٩ تصاعدت الأمور بمطالبة الطلاب الضغط على إدارة الجامعة وأجهزة الشرطة بفتح تحقيق حول اغتيال «بشير» فما كان من سلطة الإنقاذ إلا أن عملت على استخدام كل وسائل العنف تجاه الطلاب في إطار دفعهم المشروع بمطالبة التحقيق في اغتيال زميلهم بشير من قبل أحد أعضاء الجبهة الإسلامية وقتها مما أدى إلى استشهاد الطالبة (التاية محمد أبو عاقلة) والطالب (سليم محمد) فكانت تلك هي بداية عهد الإنقاذ في تشريد الحركة الطلابية واغتيال أبنائها.

٢- التاية أبو عاقلة أول شهيدة في عهد الإنقاذ:

بعد مقتل «بشير» توالت الأحداث بسرعة، ففي يوم الأربعاء ٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٩م اغتيلت بالرصاص الحي غدرا ابنة مدينة الدندر «التاية محمد أبو عاقلة الطريفي» الطالبة في السنة الثانية بكلية التربية بالقرب من مباني معهد أبحاث البناء والطرق قبالة ما تعارف عليه طلاب الجامعة بـ «ضهر التور» قرب سور كلية القانون على شارع النشاط غير بعيد عن بوابة الكلية في قلب سنتر جامعة الخرطوم على مسافة لا تزيد عن «٥٠٠ متر» من موقع اغتيال الشهيد بشير.

٣- الشهيد الثالث « سليم محمد»:

بعد مقتل «التاية» بأقل من ساعة اغتيل السكرتير العام لرابطة طلاب كلية الآداب «سليم محمد أبوبكر» الطالب بالسنة الثانية بنفس الكلية جامعة الخرطوم.

اغتيل سليم في الشارع الصغير بين كلية القانون والآداب وفي تلك اللحظة كان هناك مجموعة من الطلاب في ناصية معهد بحوث البناء فحاولوا العبور ناحية سليم لحمله فأصيب في تلك المحاولة الطالبين «عبد الملك ومجاهد» (من كلية الهندسة) وخمسة آخرين منهم «أشول» الطالبة بجامعة جوبا والتي أصيبت عندما كانت تحمي بجسدها الأسمر النحيل أحد الطلاب الذين كانوا يحاولون إنقاذ ابن

مدينة كوستي الشهيد «سليم».

٤- طارق أبراهيم شهيد تصفية السكن والإعاشة:

في يوليو ١٩٩١ اغتيل ابن منطقة كوستي «طارق محمد أبراهيم» الطالب بجامعة الخرطوم كلية العلوم بواسطة طلق ناري عند مشاركته في مسيره طلابية رافضه لسياسات التعليم العالي وتصفية السكن والإعاشة.

قتل «طارق» عند مدخل كلية القانون مجمع الوسط بالقرب من بوابة النشاط بدم بارد لا لشيء سوى مطالبته بأدنى حقوقه الجامعية من سكن وإعاشة وبيئة جامعية محترمة.

٥- الشهيد عبد الرحمن شهيد سنة ٩٥:

الشهيد «عبد الرحمن» طالب بجامعة السودان كلية الأشعة استشهد بواسطة طلق ناري عند مشاركته في مظاهرات طلابية تطالب بإطلاق سراح أكثر من (٢٠) معتقلا من أعضاء الجبهة الديمقراطية الجناح الطلابي للحزب الشيوعي داخل الجامعات السودانية.

ما يجدر ذكره أن قوات الأمن تعاملت مع «مظاهرة موت» الشهيد عبد الرحمن وكأنها معركة حربية فكان أن تم إطلاق الرصاص دون رحمة وبدون هوادة تجاه الطلاب وذلك تنفيذا لخطة النظام الرامية إلى تصفية الحركة الطلابية.

٦- مجزرة معسكر العيلفون للتجنيد القسري أبريل ١٩٩٨:

في يوم الخميس ٢ أبريل ١٩٩٨عشية عيد الأضحى، حصد الرصاص أرواح شباب غر في مقتبل العمر في معسكر العيلفون للتجنيد القسري في جريمة أخرى تضاف إلى سجل جرائم القتل الجماعي. التي ارتكبها نظام المشروع الحضاري

لتحصدهم رصاص عسسها ويُدفنوا بليل دون إبلاغ ذويهم.

معسكر العيلفون:

يقع معسكر العيلفون على بعد حوالي ٤٠ كيلومترا جنوب شرق الخرطوم، أقيم المعسكر أصلاً لتدريب المجندين قسرا قبل إرسالهم إلى مناطق العمليات العسكرية في جنوب وشرق السودان في ذلك الوقت.

كان المجندون يتعرضون داخل هذا المعسكر، وغيره من معسكرات التجنيد القسري، لأسوأ أنواع المعاملة والقهر والإذلال، وكان يتعرض من يحاول الهرب منهم إلى عقوبات أشد قسوة وعنفا. وفيما يتعلق بالعلاج، فلم يكن ينقل للمستشفى أي مجند، وكل من يعاني من حالة تستوجب الرعاية الطبية كان يتهم بمحاولة التهرب.

كيف وقعت المذبحة؟

طلب المجندون السماح لهم بعطلة ثلاثة أيام خلال مناسبة عيد الأضحى، التي تعتبر عطلة رسمية في مرافق الدولة كافة، بما في ذلك القوات النظامية هذا إذا افترضنا أصلا أن معسكرات تدريب المجندين قسراً تلك كانت لها صلة بالمؤسسة العسكرية الرسمية. رفضت إدارة المعسكر طلب المجندين وهددتهم بإطلاق النار إذا حاولوا عصيان الأوامر. بدأ المجندون عقب ذلك التجمع في طرف المعسكر المقابل للنيل محاولين الهرب. حينذاك أصدر قائد المعسكر أوامره بإطلاق الرصاص، فقتل في الحال ما يزيد على ١٠٠ مجند، فيما حاولت مجموعة كبيرة الهرب باتجاه النهر، فكانت هدفا سهلا لرصاص حراس المعسكر، مع تواصل إطلاق الرصاص على ظهورهم غرق ما يزيد على ١٠٠

آخرين، ولم يعرف مصير المفقودين حتى الآن. لقد دفنت سلطات الأمن جثث القتلى التي تم العثور عليها تحت إشراف وزير الداخلية ومدير شرطة العاصمة بالإنابة وعدد من قيادات النظام في مقابر الصحافة وفاروق والبكري وأم بدة. بلغ عدد الجثث التي دفنت بشكل جماعي ١١٧جثة، بينما سلمت ١٢ جثة إلى ذوي القتلى.

هوية المجندين:

لم تفصح السلطات، كعاداتها في مثل هذه الجرائم، عن مجرد مؤشرات حول هوية المجندين الذين راحوا ضحية مذبحة معسكر العيلفون. إلا أن المعلومات التي وردت حينها تدل على أن غالبيتهم من أولئك الذين جرى اقتيادهم قسرا في الحملات الدورية التي كانت تشهدها شوارع العاصمة لاصطياد الشباب من الطرقات والشوارع طبقا لشروط التجنيد القسري التي وضعها النظام. لم تعلن السلطات أسماء الضحايا حتى هذه اللحظة، وكما لم تقدم أيًا من المسئولين عن المجزرة للمحاكمة!!

الورْدُ ينْبتُ في العيلفون – شعر الفضيلي جماع[1]:

(١)

ما الذي يجعلُ النّيل حرباءَ
تخلع لوناً وتلبس لوْنْ؟
وقد شدّ أوصاله كالمصارع
بعثر أمواجه في الضِّفاف
وأشهر سيف المنون!

(١) بعض أبيات هذا النص تحمل توقيع شاعر الحقيبة الكبير أبو صلاح.

كان يرغي ويزبد
يعلو ويهبط
لم استدار على بعضه
يلفظ الطمي
يبحث عن صيده في جنون!
والقرى والبيادر
أحلم بالخير والرِّزق
والطيّبون على ضفتيه اطمأنّوا
فقد طالما كان يعطي ويجزل
دون انتظار الثناء
ولكنه اليوم جاع
وقد يأكل النّيل أبناءه
إذ يجوع!

(٢)

وفي ضفّة النّيل
في العيلفون
أطلّ النخيل بأعناقه
وشوش السعف للسعف

ناحت على البعد «قمرية»

ثم ران السكون!

ودبّت على الأرض

رائحة الخوف

طارت إلى الوكناتِ الطيور

تخلّى عن الضفّة السمبر، الرّهو،

حتى الأوز الذي كان في النهر

أقلع للبرِّ!

إنّ السكون الذي ران في الكون

ليس السكون!

وثمة شيء يدبُّ على الأرض

يزحف في الموج

ينفث رائحة الموت

شيء تراه القلوب

وتعجز كيما تراه العيون!

والأوز الذي كان في النهر

أقلع للبرِّ!

إنّ الطبيعة

تكشف أسرارها للطيور

وتفتح أغوارها للدواب

وتنبئهم أنّ شيئاً

يدبُّ على الأرض

ينفث ريح الخرابْ!!

(٣)

وفي النقطة الصِّفر

بين انتباهة عين

وغمضة عين

تنادوا إلى لجّة الماء

ألقوا بأجسامهم في العباب!

إذ ربّما يمنح النّهر حرّية

ربما يكسر القيد والأسر

كان المعسكر ذلاً وقهر

وكان المعسكر

وصمة عار على العيلفون!

لأن المعسكر كان مزيجاً

من الهذيان

وحبل الغسيل الذي

أرهقته العيوب!

فقد كان ينسج حبل المنية

للقادمين إليه

يجهز أكفانهم في الشمال

ليدفنهم في الجنوب!

تنادوا إلى النّهر

والنّهر أرغى وأزبد

كشّر عن نابه واكفهر

هنا الموج يعلو

وفي الخلف دوّى الرّصاص

وأحلى الخيارين مُرّ!

امتطى البعض زورق صيد

على الشط

والبعض لاذ إلى جذع سنط قديم

طفا ثم غاص بهم في العميق!

كان السبيل الوحيد

إلى الانعتاق هو النّهر

والنهر جاع

وقد يأكل النهر أبناءه

إذ يجوعْ!

(٤)

وهاج المعسكر

دوّى الرّصاص الجبان

رصاص يلعلع

دنّس طهر المكانْ

رصاص تساقط مثل المطر

شواظ كفعل الجحيم انهمر

رصاص جحيم

قضاء أمرْ

أتى من جميع الزوايا

من البرِّ جاء

من الماء جاء

تسلل عبر فروع الشجر!

وهاج المكان

مطر من دخان

مطر في حشاه المنون

مطر في القفا والجبين

مطر من رصاص الزنادقة الملتحين!

وضعت أمنا الأرض أوزارها

ليس في ضفة النهر

معركة بين جند وجند

ولكن في العيلفون

رصاصاً يمزق صمت الأصيل

وساعة نحس تقول:

هنا قاتل

يتعقب خطو القتيل!!

(٥)

وفي عتمة الليل

والنِّيل أغفى

وران على الضفّتين السكون

مشى النهر هوناً

سرت نسمة في المكان

ودبّ وراء السحاب القمر

رأى وجهه في العباب خجولاً

ترى هل مضى زمن الشعر

والقمر العسجدي؟

....

ويا ليل، أين الحبيب الذي

يشتكيك الجوى والغرام؟

وأين المغنّي الذي

أطرب الحي؟

واندياح تحنانه

بين شمبات وأبي روف؟

....

يا ليل أبقالي شاهد

على نار

شوقي وجنوني

....

كان ليلك يا ليل

كل المنى والسلام

وكانت بدورك

كانت نجومك

تضحك، تنعس

تسقط في النهر

والنهر يغدق آلاءه

ينثر الخير والحب للعالمين!

ويا ليل هل ضاق صدرك

بالجثث الطافحات على النهر؟

يا ليل كن شاهداً

أن ذاك الزمان الجميل مضى

وأن البرابرة الملتحين أتوا

من عيوب الزمان الجميل

أتوا من ثقوب النوايا

ومن صلب ذاك الزمان الجميل!

ويا ليلُ كنْ شاهداً

أنّ عصر البرابرة الملتحين سيمضي

وأنّ الورود ستنبت حمراء

في ضفة العيلفون!

٧- محمد عبد السلام شهيد داخلية المناهل:

محمد عبد السلام بابكر طالب بجامعة الخرطوم/ كلية القانون من أبناء مدني تم اعتقاله من داخلية المناهل بمجمع الوسط بعد مشاركته في مسيرة طلابية رافضة لسياسات «صندوق دعم الطلاب» حيث قام طلاب النظام باقتحام الداخليات ليلا واعتقال الطلاب وضربهم.

مات «محمد عبد السلام» في ٥ أغسطس / آب ١٩٩٨ تحت وطأة التعذيب ثم ألقي في مكان مجهول وأخيرا تم العثور على جثمانه الطاهر في أطراف الخرطوم وتبين أن سبب الوفاة تهشم في الجمجمة.

٨- غسان احمد الأمين شهيد الخدمة الوطنية:

تم قتل هذا الطالب عام ٢٠٠٠ بمعسكر تدريب جبل أولياء، فرفض «كمال حسن علي» رئيس مكتب حزب المؤتمر الوطني بالقاهرة والناطق الرسمي باسم المنسقية العامة للخدمة الوطنية آنذاك تشريح جثمانه مقابل صفقة رخيصة مع أولياء الطالب فقد طلب من والد «غسان» وأعمامه ألا يشرحوا الجثة، مقابل عرض «مغري» وهو «أن يتم دفن الجثمان دون تشريح والمنسقية العامة للخدمة الوطنية تحتسبه شهيدا وبكامل الامتيازات»!! لكن أسرة «غسان» أصرت إلا أن يتم تشريح جثمان ابنهم رافضة عرض المنسقية، وقال والد غسان: «ما دام ابني لقي الله بهذه الطريقة فان الله سيحتسبه شهيدا عنده إن شاء الله» وأخيرا تم التشريح من قبل الدكتور «عبد الله عقيل سوار» المدير العام لمشرحة مستشفى الخرطوم فخرج نتيجة التشريح وصمة عار في جبين المشروع الحضاري وجبين دولة السودان (نزيف في أكثر من مكان واكثر من ضربة بالحذاء) أدت إلي وفاة غسان وصعوده إلي الرفيق الأعلى، اكثر من ضربة بالحذاء جعلت أحشاء الطفل غسان تتمزق داخل جسده الصغير، بضعه ضربات بالحذاء علي جسد الطفل غسان كانت كفيلة بقيم وتقاليد الشعب السوداني قبل أن تطيح بالمشروع الإنقاذي الذي أراد بالسودانيين ففعل بهم ما لم يفعله أحد من العالمين..!!

وهل انتهت قصة رحيل غسان؟

تقدمت بعض الجهات الحقوقية ممثلة في منظمات وهيئات المجتمع المدني لوزارة العدل بدعوة للنظر في مقتل «غسان» لكن الوزارة رفضت النظر في

الموضوع بل حتى مناقشة القضية بحجة أنه أمر سيادي ويهم المؤسسة العسكرية فتم قفل ملف القضية في السودان وكان ذلك في عهد الوزير (علي محمد عثمان يسين) ولكن تم فتح الملف خارجيا حيث اهتمت به المنظمات الدولية وناقشته في اكبر مؤتمراتها بل وضعته نموذج من نماذج قتل الأطفال في العالم دون أن يعطي الحق لأسرة الطفل أن تقاضي ما تري انه قتل ابنها في الوقت الذي يسرح فيه القتلة ويمرحون ولا سائل يسألهم، ولكن الله غالب على أمره.

٩- ميرغني سوميت الشهيد الذي منح أمه الشهادة:

في يوم ١٨ يونيو / حزيران من عام ٢٠٠٠ سقط ابن مدينة الحصاحيصا الشهيد ميرغني محمود النعمان الطالب بجامعة سنار على إثر طلق ناري في الرأس من قوات الأمن بالقرب من سنتر الجامعة وذلك عندما حاولت قوات الأمن منع الطلاب من إقامة ندوة سياسية بالجامعة.

يقال إن ميرغني قبل مقتله بفترة قليلة (حوالي أسبوعين) كثيرا ما كان يردد بصورة دائمة قول الشاعر «الصادق الرضى» (اختر مكانك واحترق من حيث انتهيت)

لكنهم لم يقتلوا ميرغني وحده بل قتلوا معه والدته أيضا - تلك المرأة التي لم تصمد ولم تتمالك أعصابها بعد فقد قرة عينها فأبت نفسها الطيبة إلا أن تلحق بروح ابنها.

١٠- الأفندي عيسى طه شهيد جامعة شندي:

في ١٩ مايو ٢٠٠١ قامت قوات الشرطة بقتل «الأفندي عيسى طه» الطالب بكلية تنمية المجتمع بجامعة شندي في محاولة يائسة منها لإيقاف مد الحركة الطلابية وإخراس صوتها الذي نادى حتى بُح بقيام اتحاد طلاب الجامعة، والذي انتزعته «القوى الوطنية» بعد خمس سنوات مضت على استشهاد «الأفندي» في العام

٢٠٠٦ فسميت الدورة باسمه تخليدا لروحه التي مهر بها نضالات طلاب شندي.

وقائع قتل «الشهيد الأفندي» ليست أحاجي وقصص وردت «إلي» فأرويها لكم وإنما كانت أحداثا عشت ألمها ومرارتها فقد قتل «الأفندي» أمام عيني على بضع خطوات. وقتها كنت طالبا بذات الجامعة.

يعود أصل الحكاية إلى القرار الذي أصدره البروفسير الراحل «علي بري» رئيس جامعة شندي آنذاك بإغلاق جميع كليات الجامعة ما عدا كليتي « الطب» و«تنمية المجتمع» وذلك عندما ارتفعت وتصاعدت وتيرة الحركة الطلابية بالجامعة الهادفة إلى قيام اتحاد الطلاب.

على إثر هذا القرار عقدت التنظيمات السياسية بالجامعة اجتماعا لبحث هذه الأزمة فتم «تكليفي» وبعض النشطاء بالذهاب إلى كلية «تنمية المجتمع» لإخراجها من العزلة التي فرضها عليها رئيس الجامعة. وبالفعل ذهبت ومعي تلك المجموعة إلى طيبة الخواص فوصلنا إليها عند الساعة الثانية ظهرا تقريبا وأعلنا لقيام مخاطبة سياسية عاجلة لتوضيح ما يجري في الجامعة، فابتدرتُ الحديث ومن بعدي الرفيق «ع. ب» الطالب بكلية تنمية المجتمع وقتها - موضحين هدف «الرئيس علي بري» من إغلاق بعض كليات الجامعة دون بعضها فبدأت قوات الشرطة المدججة بالسلاح بمحاصرة الكلية وفي تلك اللحظة كان الشهيد الأفندي «نائما» في داخلية الطلاب لم يوقظه إلا صوت رصاص الشرطة الذي أقلق نومه فجاء به إلى «حتفه».

١١- الشريف حسب الله شهيد احتلال العراق:

الشريف حسب الله شريف طالب بجامعة النيلين، تم اغتياله عام ٢٠٠٣ بواسطة طلق ناري بعد مشاركته في مسيره طلابية رافضه لاحتلال العراق.

١٢- مقتل المعتصمين:

في جامعة الجزيرة وبتاريخ ١٣ يناير/ كانون الأول ٢٠٠٨م سقط الشهيد «معتصم الطيب» وقبل أن تجفّ دماءه على الأرض أردفه النظام بشهيد آخر هو معتصم حامد أبو القاسم (أبو العاص) الطالب بجامعة الجزيرة/ كلية الهندسة وابن مدينة «بارا» وقد حدثت جريمة اغتياله بشكل منظم وعلى مسمع ومرأى الجميع بكلية التربية بالحصاحيصا حيث جاء سيناريو التصفية من قبل الأجهزة الأمنية وذلك عندما قرر الشهيد الخروج من الجامعة فاذا بعربة تقسمه وزملائه قسمين أثناء مرورها السريع داخل الحرم الجامعي للاعتداء على منبر الجبهة الديمقراطية بمجمع «الحصاحيصا» ثم توقفت ونزل منها خمسة عشر فردا مدجّجين بالسيخ والخناجر سدّد أحدهم طعنة نافذة إلى معتصم حامد، ثم فروا هاربين بالعربة وسقط الشهيد أبو العاص مضرجا بدمائه.

١٣- لونجي عبد الرحمن وانحراف القضاء:

في استباق مكشوف المرامي والأبعاد وبالتزامن مع الهبات الجسورة التي بدأت تعبر عن نفسها في كل مدن وجامعات السودان رفضاً لتقسيمه وارتفاع الضائقة المعيشية وسياسات النظام المفضية إلى تفتيت الوطن، أقدمت محكمة جنايات بحري بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١١م بإصدار قرار سياسي بإعدام الطالب «لونجي عبد الرحمن أزرق» الطالب بجامعة السودان كلية الزراعة - الغرض منه تصفية الخصوم السياسيين المختلفين مع النظام في الرأي وإرهابهم.

لفهم وقائع هذه القضية يمكننا الرجوع إلى بياني «حزب البعث العربي الأصل» الصادرين عن مكتب الطلاب وقيادة قطر السودان بتاريخ ١٣/ ١/ ٢٠١٠م و٢٦/ ١/ ٢٠١١م ونقتطف منهما ما يلي:

أ/ إن المحكمة قد انحرفت عن مسارها وتحولت طبيعتها القائمة على

... باستقلالية وإحقاق العدل إلى التوظيف السياسي في قهر الخصوم السياسيين وبدون تطاول أو تجنى يمكننا القول أن القضاء غادر يومية التحري ووقائع المحكمة ووصل إلى نهايات لا تتفق مع سير القضية عند النطق بالحكم، ... الحكم بالإعدام نتيجة القتل العمد، مع أن كل الوقائع وإفادات شهود الاتهام والدفاع والمتهم كانت تصب في حق الدفاع عن النفس والمعركة المفاجئة، بينما المجموعة التي من بينها المجنى عليه كانت تنطلق من سبق الإصرار والترصد ... حياة المناضل لونجي عبد الرحمن الذى واجهها وحيداً وبعد الاعتداء ... وتفاديها عدة مرات.

ب/ إن عصابات الإنقاذ مارست العنف المنظم حتى دمغت به، فأضحى ... مسجلة باسمها، وكانت الطرف المبادر بالعنف على الدوام حتى في هذه القضية، وكانت محمية على الدوام من قبل أجهزة الشرطة والأمن والحرس الجامعي والقضاء فكل الجرائم التي حدثت من اغتيال وحرق وإعاقة وأذى ... كان تعامل هذه الأجهزة فيها منحازًا إلى أعوان النظام الذي يبطش بالخصوم، وبجرد حساب صغير لجرائم الاغتيال في حق شهداء الحركة الطلابية ... تجاوزوا ال (٣٥) شهيدًا توصلنا إلى امتهان القضاء وانحيازه السافر لبقايا النظام الإنقاذي الحاكم.

ج/ إن الحكم القضائي الصادر بإعدام المناضل «لونجي عبد الرحمن أزرق» ... قرار سياسي جافى وقائع وبينات القضية وحملها مسوغات الصراع السياسي بين السلطة ومعارضيها، وهو قرار سياسي يعمل على انتهاك استقلالية القضاء وتوظيفه باتجاه إرهاب الخصوم السياسيين وتصفيتهم، انه قرار سياسي يعمل على ... وتدجين الحركة الطلابية ومنضاليها وحرمانهم من حقهم في الحياة والتعليم والتعبير والتنظيم والحياة الأمنه المستقرة. انه قرار سياسي يعمل على

إكمال القهر السياسي بالقهر الاقتصادي عبر تفاقم الأوضاع المعيشية وزيا أسعار السلع والخدمات ، انه قرار سياسي يعمل على مصادرة حق التعبير السلم الديمقراطي والذى عبر عن نفسة في هلع النظام وزعره واستنفاره لأجهزته القم ومحاصرتها للجامعات والكليات والأسواق والشوارع الرئيسة ومواجهته القم للاحتجاجات والتظاهرات الطلابية والشبابية في العديد من المدن وخطف عصاباته المذعورة لأكثر من مائة من أبناء وبنات شعبنا وحركتنا الطلابية إ معتقلاتها السرية وتحويل البعض منهم إلى سجن كوبر تحت الضغط الشعبي و شملت هذه الحملة الفاشية من طلابنا:

١. محمد حسن سالم بوشي (جامعة النيلين)

٢. محمد حيدر (جامعة النيلين)

٣. منتصر زين العابدين (جامعة السودان)

٤. سماح محمد آدم (جامعة السودان)

٥. على حمدان (جامعة النيلين)

٦. معتصم زكريا (جامعة الجزيرة)

٧. على محمد خالد (كلية الاقتصاد الدفعة ٣٢ جامعة الجزيرة)

٨. حسام محمد زين (كلية العلوم التربوية جامعة الجزيرة)

٩. عبد الله خلف الله (الدفعة ٣٢جامعة الجزيرة)

١٠. علم الدين موسى (الدفعة ٣٢ جامعة الجزيرة)

١١. آمنه حيدر الصافي (كلية العلوم الرياضية والحاسوب جامعة الجزيرة)

١٢. عصام الشيخ (السنة الثالثة / هندسة جامعة كردفان)

١٣. نصر الدين علي (السنة الثانية / هندسة جامعة كردفان)

١٤. محمد الصادق جاع (السنة الرابعة / علوم جامعة كردفان)

١٥. مختار حامد (طالب بالمرحلة الثانوية بمدينة الأبيض)

١٦. أبو زيد محمد المزمل (مدينة الأبيض)

١٧. الأستاذ احمد عبد الرازق

١٨. خنساء إسماعيل (كلية العلوم الزراعية الدفعة ٣٢ جامعة الجزيرة)

١٩. يسرى عمر (كلية الاقتصاد الدفعة ٣٢ جامعة الجزيرة)

٢٠. إصابة حوراء حيدر الصافي

جريمة قتل الطالب محمد موسي :

محمد موسي عبد الله بحر الدين طالب من أبناء دارفور له من العمر (٢٣) عاما يدرس بجامعة الخرطوم كلية التربية المستوي الثالث وينتمي سياسياً إلى الجبهة الشعبية المتحدة (**UPF**) التنظيم الطلابي لحركة عبد الواحد نور الجامعات السودانية.

بدأت قصته عندما اختطفه جهاز «أمن البشير» بتاريخ الأربعاء ١٠/ ٢/ ٢٠١٠ الساعة ٥:٣٠ مساءً من أمام بوابة كلية التربية بمساعدة أعضاء في التنظيم الطلابي المؤتمر الوطني ثم بعد أقل من يوم تم العثور على جثته يوم الخميس ١١/ ٢/ ٢٠١٠ ملقية داخل مدرسة بمدينة النيل (أم درمان)، وبها العديد من الجروح كما أفاد شهود عيان شاهدوا الجثة أن يديه محروقتان وفي رأسه وجسده آثار ضرب وجروح قطعية وتورم وملابسه غارقة في الدماء. وبعد بلاغ من المدرسة تحركت الشرطة ونقلت الجثة إلي مشرحة أم درمان، فتبين من التشريح

أن سبب الوفاة هو التعذيب الشديد. فرفض أولياء الدم استلام الجثة إلا بعد «تحقيق قضائي» كما رفضت الشرطة تسليمهم التقرير الطبي، معتبرة مقتل «موسى» جريمة عادية!

هكذا ودونما خجل أو «كسوف» ألصقت حكومة البشر تهمة مقتل «محمد موسى» بالقوى السياسية الوطنية لأنها في ظنهم تحاول أن تتاجر «بدم الشهيد» للتكسب السياسي، وبهذه الكذبة الفاجرة هم يقيدون جريمة قتل الطالب الشهيد محمد موسى ضد مجهول، ليسدل عليها الستار إلى الأبد. ولكننا نعلم تماما أن د الشهيد في رقبة المؤتمر الوطني.

١٥- سعيدة حسن وصمة عار في جبين المشروع الحضاري:

في الخامس والعشرين من مايو من عام ٢٠١٠ قتلت قوات النظام «سعيدة حسن» الطالبة بكلية التنمية جامعة الدلنج، وأصيب عدد كبير من الطلاب بعد إطلاق الرصاص الحي عليهم في تظاهرة سلمية كانت احتجاجا على هجوم ش ملثمون على داخلية الطالبات.

١٦- شهداء مجزرة طلاب دارفور بجامعة الجزيرة:

مجزرة طلاب دارفور جريمة سوداء يغطي لونها الأسود وجه النظام الكالح فتصير أعماله أشد سوادا.

وبالعودة إلى وقائع مجزرة جامعة الجزيرة نجد أنه في يوم الأحد الموافق ٢/ ١٢/ ٢٠١٢م أعلن طلاب دارفور اعتصامهم « سلميا »عن الدراسة داخل حرم الجامعة مطالبين بضرورة إنفاذ قرار رئيس الجمهورية القاضي بإعفاء طلاب دارفور من رسوم الدراسة منذ بداية التسجيل إلا أن إدارة الجامعة كانت مصرة على دفعهم للرسوم مفسرة القرار بأنه يخص طلاب دارفور المقيمين بدارفور بينما يشمل القرار كل طلاب دارفور الذين جلسوا للامتحانات من داخل ولايات

دارفور الخمس. فلما وصل تطبيق الاعتصام نسبة (ال١٠٠٪) وسط طلاب دارفور صدر قرار من عمادة شئون الطلاب وإدارة الجامعة بفضه فتحركت مجموعة من اتحاد الطلاب وبعض الطلاب المحسوبين على النظام مدعومين من الأجهزة الأمنية لفض الاعتصام بالقوة مستخدمين الذخيرة الحية والغازات المسيلة للدموع والهراوات والعصي الكهربائية (المخدرة) فنفذوا أبشع اعتداء على المعتصمين من طلاب دارفور والمتضامنين معهم مما أدى لوقوع عدد من الإصابات في أوساط المعتصمين الأمر الذي أدى لتقهقر الطلاب نحو الجهة الغربية من الجامعة فصاروا محاصرين ما بين الأجهزة الأمنية والترعة الرئيسية المزرعة التجريبية للجامعة ومع ازدياد الضرب وتسارع حدته مع اختناق الأجواء بالغازات المسيلة للدموع وارتفاع وتيرة إطلاق الأعيرة النارية قفز بعض الطلاب في الترعة وبعد مضي فترة من الزمن هدأت الأوضاع ليكتشف الطلاب اعتقال مجموعة من زملائهم واختفاء آخرين بلغوا ٦ طلاب.

ثم تواصل الاعتصام السلمي يوم الاثنين وتجددت الصدامات كما حدثت بقية الاعتقالات لعشرات الطلاب الذين أطلق سراحهم جميعا عدا (١١) طالبا من أبناء دارفور.

ومضى يوم الثلاثاء هادئا حتى الرابعة مساء إذ أطلق سراح الطلاب باستثناء الطالب «موسى مصطفى» الدفعة ٣٢ زراعة وهو من مواطني غرب دارفور بينما ظل مصير طالبين مجهولا وهما الطالب «عبد الله محمد حسين» الدفعة ٣٣ نسيج والطالب «محمد أحمد عمر» الدفعة ٣٢ زراعة.

تواصل الاعتصام يوم الأربعاء وهو اليوم الذي شهد صدامات عنيفة أعتقل على إثرها حوالي (١٥٠) طالبا تم إطلاق سراحهم لاحقا. بينما أعلن الطلاب عن فقدان ٨ منهم، ظلت أخبارهم مقطوعة حتى صباح يوم الجمعة الموافق

٧/ ١٢/ ٢٠١٢م إذ ذهب أحد الطلاب لإحضار حقيبته ففوجئ بجثة أحد زملا
طافية على سطح الترعة فتم الاتصال بالشرطة التي هرعت لموقع الحادث لتنتشل
جثتين هما جثتا الطالبين «محمد يونس» الدفعة ٣٥ زراعة وهو ينحدر من منطقة
كتم بشمال دارفور والطالب «عادل محمد أحمد» الدفعة ٣٥ زراعة وهو ينحدر من
منطقة كلمندو بشمال دارفور بينما ظل أربعة من الطلاب في عداد المفقودين و
«الصادق يعقوب عبدالله» الدفعة ٣٤زراعة من منطقة كتم والطالب «النعمان أحمد
قرشي» الدفعة ٣٥ حاسوب من منطقة أمضريس بولاية الجزيرة وهو من الطلاب
المتضامنين والطالب «فيصل يعقوب عبدالله» الدفعة ٣٥حاسوب من منطقة كا
بجنوب دارفور والطالب «آدم منصور إبراهيم» الدفعة ٣٥ نسيج ومجهول
منطقته. ومما يجدر ذكره أن الجثث المنتشلة عليها دماء في الصدر والرأس إلا
الشرطة أصدرت بيانا لاحقا أفادت فيه بانتشالها للجثث نافية وجود آثار اعتداء
عليها.

وفي مساء يوم الجمعة نفسه تم الإعلان رسميا عن العثور على جثة الطالب
المفقود «الصادق يعقوب عبد الله»، كما أعلن صباح يوم السبت العثور على جثة
الطالب «النعمان أحمد قرشي» وبحسب إفادة المتحدثين الرسميين باسم رابطة
طلاب دارفور فإنه قد تم اقتياد ذوي أحد المتوفين لمكان مجهول مساء الجمعة
ثم تم تسليمهم جثمان متوفاهم في الرابعة من صباح يوم السبت ليوارى الثرى
بعيدا عن الأنظار وبعيدا عن زملائه الطلاب الذين رفضت إدارة الجامعة
مشاركتهم في مراسم التشييع.

لكن في موكب مهيب تم تشييع اثنين من جثامين الطلاب لمقابر ود مدني
(بالقرب من السوق الشعبي) مساء يوم السبت عقب صلاة المغرب وسط حشود
بلغت الآلاف من الطلاب والمواطنين بينما اندلعت المظاهرات بالسوق الكبير
بود مدني وشارع المستشفى التي تم تطويقها بالكامل. وقد ردد المتظاهرون

هتافات (مقتل طالب مقتل أمة) و(شهداء شهداء أولاد دارفور) وبعد أن ووري
الطالبان الثرى تفرقت الحشود بينما هام طلاب الداخلية على وجوههم في وقت
أغلقت فيه داخليات الجامعة أبوابها.

ما زال طلاب دارفور ينتظرون مصير اثنين من زملائهم المفقودين لم يحدد
مصيرهم بعد إن كانا ميتين أو حيين.

يكفي أن أقول إن «مجزرة طلاب دارفور بجامعة الجزيرة» تبين شيئا واحدا
هو «أن دفع الرسوم الدراسية أهم بكثير عند نظام البشير من حياة الطلاب »!

١٧ - عبد الحكم عيسى شهيد المكالمتين:

عبد الحكم عيسى طالب بجامعة أم درمان الإسلامية من أبناء دارفور، بتاريخ
أبريل ٢٠١٣ تلقي مكالمة من مجهول وبعدها لم يعثر له على أي معلومة، حتى
تلقى مكالمة أخرى مجهولة المصدر أيضا أخبرت ذويه بموت ابنهم والعثور
على جثمانه. والسبب اتهامه بالانتماء لحركة تحرير السودان بزعامة عبد الواحد
نور وبتشريح «جثة الشهيد» تبين أن سبب الوفاة نزيف داخلي يرجح انه جراء
تعرضه لتعذيب شديد أو ارتطامه بجسم صلب.

١٨ - علي أبكر رصاصة في الصدر وأخرى في الرأس:

في شهر مارس من عام ٢٠١٤م استشهد طالب كلية الاقتصاد المستوي الثالث
جامعة الخرطوم «علي أبكر موسي إدريس» داخل الحرم الجامعي بالقرب من
كلية الآداب من ناحية ميدان الآداب الفاصل بين شارع المين وكلية الآداب، بعد
إطلاق رصاصة ماكرة علي صدره وأخرى متوحشة على رأسه الصغير، كأنما
الرصاصة الواحدة لا تكفي!

تعود تفاصيل اغتيال «أبكر» إلى أن تجمع روابط طلاب دارفور بالجامعات

والمعاهد العليا أقام مخاطبة سياسية في الجامعة مطالباً الحكومة فيها بوقف
الاعتداءات على المواطنين المدنيين في ولايتي جنوب وشمال دارفور، ثم قرر
الطلاب بعد انتهاء المخاطبة تسليم مذكرة احتجاج إلى مكتب الأمم المتحدة في
الخرطوم تدين أعمال العنف ضد سكان دارفور، وعلى إثر ذلك دخلت قوات
الأمن الحرم الجامعي وأعملت الضرب والقتل في صفوف الطلاب فسقط جراء
ذلك الشهيد «أبكر» قتيلا.

قامت إدارة الجامعة بتشكيل لجنة بالمتابعة مع لجنة مكونة من وزارة العدل
لبحث ملابسات قتل «أبكر» فتوصلت في تقريرها إلي اسم الجاني عن طريق
الشهود، لكن إدارة الجامعة تتكتم على التقرير. وحتى الآن لم يتم تقديم «الجاني»
للقضاء رغم تورط مليشيات النظام في الدخول للجامعة وإطلاق الرصاص الحي
أمام مرئي ومسمع الجميع!!

١٩ - مناضل إسماعيل ويوسف علم الدين وقدر الموت المشترك:

بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠١٤ تم الاعتداء على الطالبين بـ (جامعة الدلنج)
مناضل إسماعيل ويوسف علم الدين بشير بالرصاص الحي والعنف المفرط
بواسطة طلاب النظام وقوات الأمن عند مطالبة طلاب الجامعة بتحسين
الخدمات واعتصامهم إلى حين تحقق ذلك.

٢٠ - اغتيال الطيب صالح وصدمة النهر:

الطالب الطيب صالح ناشط سياسي ضمن تنظيم الطلاب الأنصار حزب الأمة
كان يدرس في كلية شرق النيل كلية الإعلام المستوي الثاني، إلا أن جذروه تمتد
إلى شمال كردفان.

- تعرض «الطيب صالح» رئيس رابطة طلاب شمال كردفان في كلية شرق النيل

إلى الضرب «بالساطور» في رأسه ثم تلقى بعد الضرب تهديدات كثيرة ومتكررة
بالتصفية والاعتقال من قبل الطلاب «الإسلاميين الوطنيين» - التنظيم الطلابي
لحزب المؤتمر الوطني بالجامعات السودانية - اختفى بعدها لأكثر من أسبوعين
في ظروف غامضة، ليظهر جثمانه بعدها بـ (١٣) يوما في ٢ يناير ٢٠١٥ في منطقة
الحلفاية ليحاولوا إيهام أقاربه بان الوفاة بسبب الغرق لكن الجثمان خرج
بملابسه كاملة، إلا أن المؤشرات الأولية تؤكد أن اعتداءً قد وقع عليه قبل القاء
جثته في النهر، ليوصل النظام رسائل تقول هذا المصير الذي ينتظر كل من يقف في
مواجهة الحكومة.

هكذا أشاع النظام أن مقتل «الطيب صالح» كان عبارة عن جريمة ارتكبها «نهر
النيل» الجائر بحق الشهيد في محاولة يائسة ورخيصة من النظام في توريط النهر في
عملية اغتياله، إلا أن المحامي «محمد عبد الله الدومة» يعتقد أن من قتل «الطيب
صالح» قاتل محترف حاول إخفاء أي أثر لجريمته ويضيف ما زلنا في انتظار نتيجة
الحمض النووي (ال**DNA**) .

٢١ - خنساء محمد ادم شهيدة انتخابات الدم:

خنساء محمد ادم طالبة بجامعة الفاشر كلية التربية المستوي الخامس
استشهدت يوم ١٦ ابريل٢٠١٥ متأثرة بطلق ناري من رصاص النظام عند
احتجاجات الطلاب على انتخابات الدم التي أقامها النظام في ٢٠١٥.

٢٢ - شهيد كلمة الحق الطالب صلاح قمر:

صلاح قمر إبراهيم طالب بالمستوى الرابع - كلية الاقتصاد - جامعة الجنينة
مشهود له نشاطه في العمل الطوعي بدارفور.

بتاريخ ٣١/ يناير/ ٢٠١٦ اقتادته يد الارتزاق الخائنة يد «جهاز أمن» المؤتمر

الوطني عند اقتحامهم حرم جامعة الجنينة. فظل مكانه مجهولا حتى قذفوا به بعد يومين من اعتقاله أمام منزله وهو في حالة صحية متدهورة وغياب تام عن الوعي وعلى جسده آثار ضرب وكدمات. في عملية لا تشبه الرجولة والقيم السودانية النبيلة فتم نقله للمستشفى التي أسلم فيها الروح من جراء التعذيب.

تعود قصة «قمر» إلى مخاطبة طلابية نظمتها «الجبهة الشعبية المتحدة» التي ينتمي إليها الشهيد بجامعة الجنينة، احتجاجا على تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في السودان استنكروا خلالها العمليات العسكرية التي تشنها الحكومة السودانية على قوات حركة تحرير السودان، بقيادة عبد الواحد محمد نور، في جبل مرة. فاقتحمت الأجهزة الأمنية للمؤتمر الوطني مسلحة بالبنادق والهراوات وقنابل الغاز الجامعة لتفريق المخاطبة الطلابية السلمية مستخدمة الذخيرة الحية وقنابل الغاز في مواجهة الطلاب العزل ما أدى إلى سقوط عدد من الجرحى وسط الطلاب، بعضهم في حالة حرجة منهم:

أ/ محمد عبد القادر رمبيك

ب/ أيوب آدم أبكر

ج/ أسماء عبد الله عبد الله

د/ تماضر إبراهيم محمد

هـ/ ماريا حبيب آدم

و/ مروة عبد الرحمن.

٢٣- أبوبكر طه شهيد قائمة الوحدة الطلابية:

أبوبكر حسن محمد طه طالب بجامعة كردفان كلية الهندسة المستوى الأول

من أبناء ولاية الجزيرة منطقة المعيلق استشهد في أبريل ٢٠١٦م عقب إصابته بطلق ناري من رصاص النظام في صدره أثناء تقديم طلاب الجامعة لقائمة الوحدة الطلابية لانتخابات اتحاد الطلاب.

٢٤- رصاص النظام يغيب الطالب محمد ويو:

محمد الصادق ويو هو ابن كابتن فريق الموردة ولاعب المنتخب القومي السوداني، طالب بجامعة أم درمان الأهلية كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية. استشهد عقب إصابته بطلق ناري من رصاص النظام في صدره في ٢٧ابريل ٢٠١٨م.

شهداء فاجعة البحيرة:

على «مركب» خشبي عتيق حفر السوس على جنباته المتهالكة، يملكه عبد الرحيم الكليس - يعمل كترحيل لطلاب مدارس الأساس (بنين وبنات) من قرى الكداب والكنيسة وسرجي - أبحر (٤٠ تلميذا) صباح يوم الأربعاء الموافق ١٥ أغسطس ٢٠١٨ باتجاه مدرستهم الواقعة على الضفة الأخرى من «بحيرة سد مروي» في ولاية نهر النيل بشمال السودان.

أصل الفاجعة:

حمل أطفال «لانش الموت» دفاترهم وأقلامهم وأحلامهم وأمانيهم وأجسادهم الغضة الطرية وأرواحهم البريئة ووضعوها على قارب يفتقر لأدنى إجراءات السلامة والإنقاذ في رحلة اعتادوا أن يقطعوها طول فترة دراستهم عبر الوديان التي خلفتها بحيرة سد مروي.

كانت «المركب» تسير بهم بصورة طبيعية، حتى وصلت سربجي، وفيها اصطدمت بشجرة «المؤتمر الوطني» التي أفقدتها توازنها، فجرفها تيار النيل

الهائج مما أدى لانقلاب المركب و غرق ٢٢ تلميذا وطبيبة مختبرات هي «فاطمة عبد الرحيم البصير» في بحيرة متسعة هائجة كأنها محيط لا يعرف قلبه الرحمة. منهم خمس زهرات من أسرة واحدة هن: «توسل وريم وريهام وجواهر وفاطمة» فجأة وبلا مقدمات خلا منهن البيت الذي كن يزحمنه ضجيجاً وفرحاً ومرحاً غرقن دفعة واحدة في فاجعة أليمة حزينة تتحمل الإنقاذ وزرها إلى جانب أوزارها بحق الشعب السوداني.

أسماء شهداء الفاجعة:

أ- تلميذات مرحلة الأساس:

١- جواهر عمر سليمان

٢- ريم عمر سليمان

٣- توسل عمر سليمان

٤- تسنيم محمد دفع الله

٥- وفاء محمد دفع الله

٦- براءة محمد دفع الله

٧- مشاعر احمد سليمان

٨- الروضة عبد المنعم الحسن

٩- سحر سعد محمد عوض الله

١٠- سحر عز الدين عوض الله

١١- فاطمة عمر سليمان محمد

ب- تلاميذ مرحلة الأساس

١- محمد سعد محمد دفع الله

٢- أمجد عثمان علي حامد

٣- ناجي عثمان علي حامد

٤- علي أحمد الحسن أحمد

٥- سيد أحمد ياسر سيد أحمد

٦- سليمان ياسر سيد أحمد

٧- إبراهيم التجاني حسن علي

٨- منزر مصطفي دفع الله

٩- عبد الرحمن عبدالمنعم

١٠- مازن محمد الحسن أحمد

ج- طالبات المرحلة الثانوية:

١- إيلاف التجاني حسن علي

٢- ريهام عمر سليمان

شهداء ثورة «ديسمبر ٢٠١٨»:

في الحقيقة لم أجد أي معلومات تفصيلية تخص شهدائنا الذين استشهدوا في الثورة الحالية غير أسمائهم[1] فلذلك أرصدها كما هي كمساهمة أولية لتوثيق ملاحمهم البطولية التي بسببها نعيش نحن الآن.

(1) هذه الأسماء التي تحصلت عليها وليس كل أسماء الشهداء.

م	اسم الشهيد/ة	المنطقة
١	محمد عيسى (ماكور)	بربر
٢	مأمون أحمد الخير	العبيدية
٣	مهند أحمد محمد عبد القادر	عطبرة
٤	طارق أحمد علي عبد الجليل	عطبرة
٥	عصام علي حسين	عطبرة
٦	مازن عبد الله	عطبرة
٧	النذير هاشم	عطبرة
٨	مريم محمد عبد الله	عطبرة
٩	الطفل شوقي الصادق إسحاق (١٠ سنوات)	الجزيرة أبا
١٠	الطفل محمد إسماعيل (سنة)	الجزيرة أبا
١١	النور عبد الغني عبد اللطيف	القضارف
١٢	طارق سليمان العسكري	القضارف
١٣	صديق هاشم حلوف (القوات المسلحة)	القضارف
١٤	جلال إبراهيم	القضارف
١٥	إسماعيل عثمان	القضارف
١٦	محمد خير محمد	القضارف
١٧	سر الختم عبد الله	القضارف
١٨	جمال أحمد كبير	القضارف

م	اسم الشهيد/ة	المنطقة
[illegible]	محمد عمر	القضارف
[illegible]	صلاح الدين أرباب الناظر	القضارف
[illegible]	ياسين عبيد ياسين	القضارف
[illegible]	إنصاف موسى	القضارف
[illegible]	صالح محمد صالح الصوفي	القضارف
[illegible]	عبد الحفيظ عمار	القضارف
[illegible]	أشرف عمار	القضارف
[illegible]	[illegible]رمل عبد الوهاب	القضارف
[illegible]	ياسر محمد دار السلام	القضارف
[illegible]	محمد خير عبد الصمد	القضارف
[illegible]	[illegible]دو محمود عبد القادر (طالب)	القضارف
[illegible]	أحمد محمد (طالب)	القضارف
[illegible]	عثمان كوة (عامل بالمستشفى التأهيلي)	القضارف
[illegible]	حامد عبد الملك حامد مرسال (٤٠ سنة)	القضارف
[illegible]	أحمد صلاح أبو ريش	كريمة
[illegible]	أحمد عبد الله محمد الحسن	كريمة
[illegible]	[illegible]تو/ مفتاح	الجالية الأثيوبية
[illegible]	محمد عابدين السيد	الخرطوم – حلة كوكو

م	اسم الشهيد/ة	المنطقة
٣٩	عبد الرحمن الصادق محمد الأمين (طالب آداب جامعة الخرطوم – المستوى الثالث)	الخرطوم – الكلاكلة
٤٠	صالح يعقوب عمر	بحري – الدروشاب
٤١	صالح عبد الوهاب صالح	أم درمان – الشقيلاب
٤٢	محمد الفاتح مصطفى	الفاشر – م الإقامة أم درمان
٤٣	حذيفة محمد عثمان	الفاشر – م الإقامة أم درمان
٤٤	حسن محمد عمر	الخرطوم
٤٥	معاوية أحمد خليل	الخرطوم – بري
٤٦	حسن محمد عمر	بحري – الحاج يوسف
٤٧	لؤي أحمد خليل	الخرطوم – الكلاكلة
٤٨	الفاتح عمر النمير	أم درمان
٤٩	بابكر عبد الحميد	بحري – م الإقامة بر[illegible]
٥٠	محجوب التاج محجوب (كلية الرازي)	الخرطوم – الصحافة
٥١	عبد العظيم أبو بكر	أم درمان – ود البشير

(٣)

تسقط بس

أضرب في المليان[1]
جبخانة
أو بمبان
ما بيهم
دانة تانشر
أو دبابة
ما بيهم
أضرب بس
تسقط بس
...
الشعب الجاي
باكل جبخانة

(1) الشاعر مأمون الباقر.

يعطر فشفاشو

بريحة البمبان

وبخور الدانة

ما بيهمو الموت

أضرب بس

تسقط بس

--

قايل انك

تقدر تدفن احلامنا؟

قايل إنك

تقدُر تقهرنا؟

باسم الدين

والجبخانة؟

والسرقة تلعلع في حيشانك

ياكاتل أحلامنا

وتبصبص في أحلام الجيل الجاي؟

أضرب بس

تسقط بس

--

حرم ما بتقدر

لو جبت معاك

جيوش الشيطان

والجن الأحمر

والفسدة المأجورين

من كل مكان

هزمنا

ونحن

رفعنا

شهادات الموت

أضرب بس

تسقط بس

--

تقولا عديل

ما بالدس

تسقط وتسقط بس

لأنك ساقط من يوم

ولدوك

في علم الحكم

وعلم العدل

وعلم الحق

تسقط. وتسقط بس

بالله عليك

بحلق عاين

في عيون الطفلة

السمحة

وبشيش الطفل القمحة

المغبونين

المرقو قصادك حالفين

يا تسقط

يا بنموت نحن

لأنك دمرت كيانا

والأمل الجوانا

تسقط بس

--

عليك الله البتحلف

بيهو

وترقص

يوماتي

يا عارف

سر الحليفة

الو الفي الشارع ديل مين؟

يا أخي أصحى

لمتين

تحالف الحلف

يا اخي إستحي

ديل الناس الزمان

قرفتهم

كتلتهم

هجرتهم

عطلتهم

جايين للقصاص

يا عمر

ويقولو ليك

تسقط. تسقط... بس

تسقط بس ... نقولا عديل ...ما بالدس

رفع شباب السودان أصواتهم عالية وواضحة وبينة ومسموعة ليست «بالدس» في وجه طغاة المؤتمر الوطني مرددين شعار واحد فقط هو «تسقط بس»[1] [illegible] هذا الشعار كما نرى من مفردتين كل واحدة منهما تعكس ما يريده الشعب السوداني بالضبط، فعبارة «تسقط» تعني الوقوع والسقوط والهبوط والإ[illegible] وسحب الثقة. أما مفردة «بس» الموغلة في العامية السودانية فتعني «فقط» و[illegible] يصبح معنى الشعار «الشعب يريد إسقاط النظام» أي إسقاط نظام الإنقاذ [illegible] مكوناته الأمنية والاستخباراتية والنفعية وتقديم رموزه وتابعيه وكل من أجرم [illegible] حق السودان للمحاكمة وساعتها فقط يصبح «الحساب ولد».

تسقط بس – معناها تسقط بدون «كلام ولا حوار ولا رغي ولا مناورات [illegible] مفاوضات». يعني أمشي وخلاص وإحنا عارفين ح نعمل شنو في بلدنا. [illegible] «بس» ما معناها كدة وخلاص – بل تعبر أيضا عن حالة غضب يصبح معها [illegible] والمساومة مرفوضة.[2]

كما نرى اكتسب هذا الشعار قوته ومكانته من لغة الشباب البسيطة [illegible] تميل إلى التعقيدات اللفظية، ومن بساطة المفردات المستخدمة فيه حتى صار [illegible] كل لسان بل صار كل السودان يردد هتاف واحد فقط هو: «تكسر حنكك [illegible] سنك، ما عايزنك ما عايزنك. ترمي سقالة ولا تراب ما عايزنك يا كذاب. [illegible] أنت ويسقط جنك. تسقط أنت وتلحق سنك. تسقط بس».

(١) يقال أن هناك قصة رومانسية جميلة وراء انتشار هاشتاق «تسقط بس».. بعد قطع الإ[illegible] السودان في بداية الثورة، في شابة ما قدرت تتصل بحبيبها، رد عليها «حكومة تمنعني [illegible] بس»، من هنا إنتشر الهاشاق وأصبح الشعار الرئيسي للثورة – مما يجدر ذكره أن هذا الشعار [illegible] في يوم ٢٢ ديسمبر ٢٠١٨.

(٢) حركة شباب «قرفنا».

تسقط بس من أجل شبابنا الذين استشهدوا وهم يرفضون حياة الذل والمهانة [illegible] والشقاء، «تسقط بس» من أجل الجرحى الذين ينادون بالحرية والسلام [illegible] الاجتماعية، ويطالبون بالتغيير وسيادة حكم القانون.

تسقط بس.. أصبحت حتمية ومسألة وقت، قد يسقط النظام المترنح الآن في [illegible] لأنه مهما أوتي من قوة فمصيره السقوط لأن هتاف الجماهير وحقوقهم المشروعة أقوى من أي سلاح يستخدمه النظام.

تسقط بس.. لأنك فقدت كل مبررات وجودك منذ يونيو ٨٩ فأنت مجرد [illegible] سطا على الدولة والسلطة بليل أسود ثم عملت على إذلالنا واحتقارنا [illegible] وتخويفنا وقتلنا على مدى ثلاثين عاما عجاف.

لذلك تسقط بس وتسقط:

حكومة العسكر[1]

تسقط بس

تسقط بس

عشان جُرح

البلد يبرأ

تسقط بس

[illegible] الله

[illegible] الشهدا

(١) [illegible] للشاعر عبدالإله زمراوي

ودم الشهدا

الماتوا رصاص

تسقط بس

عشان أحفادنا

وكل الناس

الطلعت هتفت

قالت بس

كفانا خلاص

تسقط بس

عشان النيل

يفيض بالخير

ويسقينا

ونزرع كل

الشوارع ورد

تسقط بس

عشان شهدانا

ماتوا فدانا

زينو بي دماهم

شُرفة التأريخ

رسالة واقتدار

[illegible]

[illegible] الحد

وفي الميدان

برغم كثافة البمبان

هتف الشعبُ

بالصوتِ المجلجل جد

هتف الشعب

وزلزل صمت

هذا الصمت

حرية سلام وعدالة

والثورة خيار الشعب

الطلقة ما بتكتل

بكتل سكات الزول

والملايينُ تغنت

[illegible] النصر

[illegible] وصموداً

[illegible] كتمت

عطبرة شرقت

دنقلا مرقت

طلعت بارا

والمزموم

مرقت كسلا

والخرطوم

مدني السني

لهب الثورة

سنجة الباسلة

قضارف الخير

كريمي وكرمة

مروي وكوستي

نيالا الفاشر

شعار ونضال

شندي وكوستي

نيالا الباسلة وسن النار

مرقنا مرقنا

ضد الناس

الكتلو ولدنا

مرقنا مرقنا

ضد الناس

...لو عرقنا

وتسقط بس

...ف الشعب

...رع الشعب

...عت الناس

يا رقاص

...لمية سلمية

...د الحرامية

وتسقط بس

...ارنا سلام

...فنا تمام

سقطت سقطت

يا كيزان

سقطت سقطت

سقطت جد

...الوا الغني

تعالوا سوا...

تعال يا حاكي

معاك الزاكي

سجلوا لينا

حكاية شعبي

اليوم وزمان...

شعبي مسالِم

سبق العالَم

شعبي معلِم

لملم سلّم

وقام عصيان

عصينا عصينا

وشلنا عصينا

نشيدنا الكان

شبابنا الباسل

في يناير

بادر قاوم

ذهل العالم

إنس وجان

وتسقط بس

...عبنا صمم

...ا في رجوع

...فنا هتفنا

...نار والنار

وتسقط بس

يوم عصيانا

...بابك يابا

...نا عصينا

وشعبنا ثار

...له معانا

...شعب ورانا

...ي الظالم

...يا الثورة

...دلعت نار

...نا هتفنا:

...ا بنخاف ما بنخاف

أي كوز

ندوسو دوس

أي كوز

ندوسو دوس....

وتسقط وتسقط

تسقط بس

* تجمع المهنيين السودانيين:

يا شعبنا العنيد

لو نلاقى الموت سِنّة.. سِنّة

كل قطرة دم تبقى جِنّة

والبايع قط ليس منّا والبخون الشهدا الكرام

يا شَعبَنا المجيدَ كالنهارِ كالغناءِ كالذُرةَ من هاهنا جئناك أغنيةً تهوِّم في الشوا[illegible] والحقولِ المجد لك. من هاهنا جئناك ثائرين وبالنضال وعلى الكفاح [illegible] متواثقين، وفي حلوقنا أنشودة الخلاص

جئناك من كل دارٍ ومدرسة للثوار وكل فج عميق، بالحبِ بالقدراتِ بالأزه[illegible] بالقمحِ الوفيرِ، بالشوقِ بالإنسان عملاقاً وباللّحنِ المثيرْ، لحن الحرية والس[illegible] والعدالة والثورة خيار الشعب وطريقه.

هذا يقين، وذاك وعد وعهد قطعناه معاً، من دمكم ودمنا ومهما قاوم الع[illegible] فهو في ضلال وسُعُر وإن طال به الأمد حيناً.

أمر عادي وطبيعي ومتوقع أن تكون الكلمات الثورية التي تتلألأ جمالا ون[illegible]

تسقط بس.. قراءة في الوعي الثوري للشباب السوداني...

[illegible] في أعلى هذه الصفحة هي كلمات تجمع المهنيين السودانيين التي اعتاد [illegible]ها الشارع السوداني في كل مدن السودان التي تنتفض منذ ديسمبر ٢٠١٨ دون [illegible] أو ملل أو عجلة رغم العنف الوحشي المفرط في القوة من قبل النظام والذي [illegible] حتى هذه اللحظة، عن أكثر من خمسين شهيداً، جلّهم من الشباب، وعن [illegible] الجرحى والمعاقين، ومثلهم أو يزيدون من المعتقلين في زنازين الإنقاذ.

والسر في ذلك أن «تجمع المهنيين السودانيين» بوعيه الثوري وإدراكه العميق [illegible] أن يلتقط نبض اللحظة التاريخية، فتصدى لقيادة الحراك الشعبي، متخذاً [illegible] تصاعديا، وفق موجهات قيادية حكيمة، أكسبته ثقة الآلاف التي تهدر في [illegible] السودان الآن لأنه لامس أحلامهم ودواخلهم ومشاعرهم وتطلعاتهم [illegible]هم في التغيير وإسقاط نظام الإنقاذ.

[illegible]ع المهنيين السودانيين وتاريخ التأسيس:

معظم التقارير الرسمية وغير الرسمية تشير بقوة إلى أن « تجمع المهنيين [illegible]ودانيين» قد تأسس عام ٢٠١٣ بعد الاحتجاجات التي عمت السودان في [illegible]/ أيلول من ذلك العام، إلا أن الإعلان الرسمي عنه كان في أغسطس/ آب [illegible] في ظل تعتيم على أعضائه وهيئاته لأسباب أمنية.

ظهر تجمع المهنيين السودانيين لأول مرة في مايو ٢٠١٦ عبر لجانه التمهيدية [illegible] فترة الإضرابات و المظاهرات السابقة واللاحقة. بعدها بدأ التجمع يبني [illegible] بصورة بطيئة و لكنها تستند على رؤية واضحة المعالم إلى أن ظهر بصورته [illegible] عندما أعلن عبر ميثاقه عن برنامج واضح المعالم يهدف إلى توحيد نقابات [illegible] الشرعية.

إذن تجمع المهنيين السودانيين جسم تحالفي حقيقي موجود على أرض الواقع [illegible] لبنا شيطانيا وليس جسما هلاميا ولا كائنا فضائيا أو اسفيريا ظهر فجأة كما

تسقط بس.. قراءة في الوعي الثوري للشباب السوداني...

يدعي النظام، وإنما صيغة إبداعية فى العمل التحالفي ابتدعتها عبقرية شعبنا و[illegible] السياسية والمدنية بعد أن دجن النظام العمل النقابي واستهدف تفكيكه بالق[illegible] والتشريد فجاء ميلاد تجمع المهنيين تعبيرا عن حاجة موضوعية ولذلك [illegible] الميلاد أصيل المنبع والجذور ومؤمن بقدرات الشعب الذى منحه الثقة والد[illegible] والقيادة.

وللمتابعين للشأن السياسي والعمل العام كان معروفا وقواه معروفة و[illegible] خاضت معارك مطلبية عديدة ضد النظام فى أوساط المحامين والصح[illegible] والأطباء والصيادلة والمعلمين ..الخ فقط الجديد هو تشبيكه مع القوى السيا[illegible] المعارضة فى بداية ثورة ديسمبر وتنسيق الجهود لإسقاط النظام.

التكوين:

يتكون تجمع المهنيين من عدد من التنظيمات أبرزها:

١- لجنة المعلمين السودانيين.

٢- لجنة أطباء السودان المركزية.

٣- رابطة الأطباء البيطريين الديمقراطيين.

٤- التحالف الديمقراطي للمحامين.

٥- تجمع أساتذة الجامعات.

٦- نقابة أطباء السودان الشرعية.

٧- لجنة مبادرة استعادة نقابة المهندسين

٨- شبكة الصحفيين السودانيين.

تسقط بس.. قراءة في الوعي الثوري للشباب السوداني...

[illegible] إعلان الحرية والتغيير:

[illegible] إلى تجمعات المهنيين فقد وقعت بعض القوى السياسية المعارضة [illegible] إعلان الحرية والتغيير» وهي الوثيقة التي طرحها التجمع كميثاق [illegible] العمل الثوري.

[illegible] على إعلان الحرية والتغيير إلى جانب تجمع المهنيين كل من:

[illegible] قوى الإجماع الوطني

[illegible] قوى نداء السودان

[illegible] التجمع الاتحادي المعارض.

[illegible] ديسمبر وأصل الحكاية:

[illegible] انتفاضة «شباب السودان» إلى أواخر يناير من عام ٢٠١١ عندما خرجوا [illegible] كبرى قوامها طلاب الجامعات مندّدين بارتفاع أسعار السلع الغذائية [illegible] الأجور، ومستنكرين استحواذ الأمن على أكثر من ٧٠٪ من ميزانية [illegible] إلا أن الإنقاذ واجهت تلك المظاهرات بالعنف المفرط تلته بموجة [illegible] واسعة في أوساط الشباب والمعارضة.

[illegible] الاغتصاب والتخويف الجنسي تجاه المتظاهرات السودانيات من قبل [illegible] «الأمن والمخابرات» فقد استمرت الإضرابات بقوة إلى منتصف العام [illegible] عندما تجددت الانتفاضة السودانية بعد موجات من التظاهرات احتجاجاً [illegible] قرار الحكومة رفع الدعم عن الوقود في الحادي والعشرين من يونيو ٢٠١٢.

[illegible] جذوة الانتفاضة بعد أشهر قليلة ثم اندلعت فجأة كبركان حارق في

[illegible] الفنانة التشكيلية «صفية إسحق» بعد اعتقالها وضربها إبان مظاهرة الثلاثين من يناير.

سبتمبر من عام ٢٠١٣ فواجهتها الإنقاذ بالقمع والموت واستغلال العامل الديني إذ خرج مسؤولو الإنقاذ في لقاءاتهم الجماهيرية يحذرون السودانيين من أن الثورة هي صنيعة «الشيوعيين والبعثيين الذين يريدون إخراجكم من دينكم وتحويل السودان إلى مجتمع فاسد ومنحل»! واصفين انتفاضة الشباب بأنها تهدف إلى إثارة البلبلة والفوضى في البلاد، محذّرين من الخراب الذي سوف يعم السودان إذا غادرت الإنقاذ السلطة!

قد فطن الشباب ومعهم الشعب السوداني إلى حيل المؤتمر الوطني الماكرة الخادعة فعزموا على إسقاط تجار الدين وسارقي قوت الفقراء مهما كلفهم الأمر فانتظموا في احتجاجات مستمرة شعارها «أن الظلم ليلته قصيرة» إلى أن جاءت المرحلة الفاصلة في تاريخ السودان الحديث ألا وهي «انتفاضة ديسمبر ٢٠١٨» التي وحدت شعب السودان كله تحت شعار «تسقط بس».

سلمية الثورة السودانية و حرب اللاعنف:

التزم الشعب السوداني «أبو الثورات العربية» منذ اللحظة الأولى بسلمية ثورته رغم بطش نظام الإنقاذ الذي اتسع وتوسع في العنف إلى درجات لم يتوقعها أي مخلوق على وجه الأرض تنم عن فلسفته الإرهابية العنيفة والمتوحشة واستراتيجيته الهمجية في قمع وإسكات صوت الحق.

التزم الشعب السوداني بمبدأ اللاعنف ضد إرهاب الكيزان وقهرهم وعنفهم وحقدهم وسفالتهم وحقارتهم ونذالتهم – كأسلوب نضال مغاير لاستخدام القوة والعنف اللذان يمنحان الإنقاذ المبررات المجانية لقمع الثورة بشكل أكثر شراسة ووحشية.

أدركت الثورة السودانية منذ وقت مبكر أن التغيير المنشود ممكن أن يتم من غير اللجوء إلى العنف وهذا ما أثبتته ثورات الربيع العربي في «تونس ومصر» عندما

التزمت بخط السلمية الذي ارغم «بن علي ومبارك» على الانزياح من سدة السلطة دون سفك الدماء...

بل أن التغيير عن طريق اللاعنف ظهر في أوروبا الشرقية التي غلب على ثوراتها طابع اللاعنف في أواخر الثمانينات، لاسيما تجربة نقابة تضامن البولونية وهنغاريا، وتجربة تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الديمقراطية. وظهر أيضا في بعض تجارب أمريكا اللاتينية خاصة في «تشيلي» التي تحولت من نظام دكتاتوري بقيادة الجنرال بينوشيه» إلى نظام ديمقراطي عبر صندوق الاقتراع، وكذلك بوليفيا. وقد اكتسب شعار «الثورة في صندوق الاقتراع» في أمريكا اللاتينية أهمية خاصة، خصوصاً بعد فوز عدد من التيارات اليسارية في الانتخابات في خمسة بلدان لاتينية.

اللاعنف هو خيار الإنسان الواعي الذي يعتمد على المقاومة الحقيقية من أجل التصدي للظلم والاستبداد والكراهية، بطرق سلمية ترفض الرد على العنف بالعنف، وإذا كانت سلطة العنف هي القوة والإكراه، فإن سلطة الحق المتمثلة في اللاعنف هي العقل والضمير التي عبر عنها بوذا بقوله: «إذا رددنا على الحقد بالحقد، فمتى سينتهي الحقد؟» الذي يمثل جوهر فلسفة «المقاومة اللاعنفية» التي اتبعها المهاتما غاندي منتصراً على أعتى إمبريالية عالمية في زمانه (بريطانيا العظمى)، محرّراً بلاده بوسائل اللاعنف فقط، حاصلاً على استقلالها واضعاً إياها في طريق التسامح والديمقراطية والتعايش وقبول الآخر، ولهذا ليس عبثاً أن يقول غاندي: «لا أحبّذ التسامح، لكنني لم أجد وسيلة أفضل منه».

حرب اللاعنف:

حرب اللاعنف هي: «شن الصراع الحاسم على الخصوم المعاندين من خلال التحكم المقصود والمخطط في أدوات القوة السياسية لتحطيم إرادة الخصم

باستخدام أسلحة لا عنيفة قوية التأثير»[1].

هذا التعريف يعني أن اللاعنف أسلوب:

أ- **لشن الصراع**: فهو ليس أسلوباً دفاعياً فحسب. لكنه يعتمد في تكتيكاته المبادرة والهجوم اللاعنيف.

ب- **الحسم**: أي أنه قادر على حسم الصراع في حال تمكنه من إحداث تغيير فعلي في موازين القوى.

وقد رأينا كيف حسم الشعب السوداني النزال لصالحه عبر وسائل لا عنفية بسيطة ومتنوعة بدأها بالاحتجاجات السلمية مروراً بالاعتصامات إلى أن يصل بثورته إلى مرحلة الإضراب السياسي و العصيان المدني الشامل.

وسائل حرب اللاعنف:

تُقسم وسائل اللاعنف – بحسب جين شارب- إلى:

١- وسائل احتجاج وإقناع: هدفها التعبير عن الرأي تجاه موقف أو قضية محددة. مثل التظاهرات الرمزية.

٢- وسائل اللاتعاون: وهدفها الامتناع عن التعاون مثل الإضراب عن العمل.

٣- وسائل التدخل المباشر: مثل احتلال الميادين والساحات العامة بدون عنف.

ويمكن تقسيم الوسائل بحسب الاستخدام العملي إلى:

١- وسائل الهجوم: والهجوم الناجح هو الذي يستنزف الموارد المادية والبشرية للخصم. ولأنه فعل يمثل تهديداً مباشراً فإن احتمال مواجهته بالعنف

(١) محمد العربي - دروس حرب اللاعنف و الثورة السلمية - يوليو ٢٠١٣.

وارد لذلك التدريب والإعداد الجيدان يزيدان من القوة التي تستمدها حركة اللاعنف، ويقللان من خسائرها. ومن أمثلته الإرهاق الإداري وذلك بطلب خدمة عامة بكثافة عالية.

٢- وسائل الدفاع: الدفاع الناجح هو الذي يحفظ ويبني الموارد على المدى الطويل ولكنه يحتاج إلى إبداع أساليب دفاعية لتجنب هجمات «النظام الخصم» المستقبلية والآنية، وأساليب دفاعية لحماية نقاط ضعف الثورة ومن أمثلته جمع المعلومات عن النظام، وفضحه وتعريته.

٣- وسائل مقاومة السلب: وتعني سلب قوة النظام من مال وإعلام وبشر وذلك بحرمانه من الأدوات التي يحتاجها مثل «الطاعة» أي امتناع المواطنين عن تقديم الدعم للنظام كأن يمتنعوا عن العمل مثلا.

٤- وسائل بناء القدرة: عندما تكون الثورة في حالة ضعف استراتيجي ولا تستطيع استهداف أهداف حيوية تسلب الخصم قوته، حينها يكون من المهم التدريب واستكمال العدة اللازمة لإجراء تكتيكات الهجوم. وتقوية نقاط الضعف فيها.

مزايا حرب اللاعنف:

من مزايا حرب اللاعنف ضد الديكتاتوريات أن جميع فئات الشعب بمختلف فئاته وأعماره بإمكانها أن تشارك، ليس بالضرورة عبر التظاهر، وإنما عبر أشكال متنوعة، نصنفها بحسب عدد القائمين عليها كما يلي[1]:

أ- **وسائل يقوم بها فرد واحد:**

١- توفير الأطعمة والأدوية ووسائل الدعم للثوار في الميادين والساحات.

(١) محمد العربي – المصدر السابق.

٢- المشاركة في البرامج التلفزيونية المشهورة جماهيرياً.

٣- التفاعل عبر الإنترنت وإقناع الناس بالمشاركة.

٤- الاتصال الهاتفي بـ (٥ أشخاص) يومياً وإقناعهم بالمشاركة.

٥- إلقاء الكلمات والأغاني للتوعية ورفع المعنويات.

٦- نقل الأخبار والمعلومات إلى المشاركين ميدانياً.

٧- إرسال رسائل بالمحمول للتوعية ورفع المعنويات.

٨- لصق بوسترات تدعو لدعم الثورة في محل سكنه.

٩- إقناع جيرانه بأهمية دعم الثورة.

١٠- الرسوم والأعمال الفنية.

١١- ارتداء ملابس عليها شعار الثورة.

١٢- رفع الأعلام.

١٣- رفع الصور.

١٤- مصادقة الجيش والشرطة والتحاور مع الجنود والضباط.

١٥- إقفال صاحب العمل لعمله، ودعوة الموظفين للمشاركة.

١٦- توفير الدعم المالي لبعض الأنشطة أو لدعم الفقراء والمتضررين.

١٧- المقاطعة الاجتماعية للمناهضين للثورة من أصدقائك «بدون حدة» فقط المطلوب تحريك ضمائرهم.

١٨- إرسال تقارير خطأ لصانع القرار في حال عمل الفرد في دائرة خاصة بصنع القرار.

ب- وسائل تقوم بها مجموعات:

١- طلاء جدران بعض الأماكن المهمة بشكل احتجاجي.

٢- إرسال أغراض رمزية لجهات معينة مثل وضع جماجم أمام مقار المحافظات.

٣- تغيير أسماء الشوارع بأسماء تحمل شهداء وروح الثورة.

٤- إرسال جوائز استهزائيه لبعض المسئولين (أوسكار أحسن تزوير إعلامي فلان.

٥- المسارح والفنون الشعبية.

٦- حملات لمخاطبة سكان الحي وتوعيتهم.

٧- عمل نسخة مزورة من إحدى الصحف الرسمية (تحمل أخباراً جديدة).

٨- تعليق لافتات الثورة في الميادين الكبرى.

٩- الغناء ومخاطبة الناس في وسائل المواصلات العامة مثل الباصات وحافلات الركاب.

١٠- إطلاق المناطيد الهوائية خاصة فوق الأماكن المحظور الاقتراب منها.

١١- سد بعض الشوارع بالسيارات.

١٢- تأليف حكومة ظل.

١٣- إعلان دستور جديد.

١٤- تعطيل المسئولين من الذهاب إلى أعمالهم.

ج- وسائل يقوم بها آلاف:

١- سد بعض الشوارع بشكل رمزي.

٢- الاعتصام حول المباني التي تحمل دلالة مهمة.

٣- الاعتصام المتحرك أي دخول المبنى والتجول فيه ثم الخروج والدخول.

٤- عمل دروع بشرية تحول دون تقدم قوات القمع.

٥- مسيرات في الشوارع.

٦- نصب سرادقات العزاء للشهداء في الأحياء.

٧- الإضراب عن العمل في الشركات.

٨- التباطؤ في العمل في الدوائر الحكومية.

٩- ارتداء أقنعة (لكل فرد حرية الاختيار).

١٠- إرسال وفود إلى جهات مسئولة للضغط عليها ثم العودة.

١١- ملاحقة المسئولين (هاتفياً وفي أماكن عملهم وفي كل مكان).

١٢- مقاطعة المسئولين والرموز المناهضين: يقوم به (الجيران – زملاء العمل – الباعة).

١٣- الانطلاق في مسيرة طويلة تبدأ من مكان لتنتهي إلى مكان له دلالة.

١٤- مسيرة بالسيارات.

١٥- مسيرات بالدرجات الهوائية والبخارية.

١٦- مسيرات في النهر أو البحر بواسطة المراكب.

١٧- الإرهاق الإداري للخدمات: تجمع أعداد كبيرة لطلب خدمة محددة.

١٨- سحب كبار المودعين لودائعهم المصرفية.

١٩- عصيان العاملين في المؤسسات الحكومية.

٢٠- محاكمات شعبية للمجرمين.

٢١- عمل انتخابات (استهزائيه رمزية) وتحديد أماكن اقتراع، وتعلن النتيجة.

٢٢- التوجه للمطار في شكل مسيرة احتجاجية مع حمل حقائب السفر في شكل رمزي.

٢٣- امتناع التجار عن شراء السلع من رجال الأعمال الموالين للنظام.

٢٤- عدم البيع والتأجير للعقارات لمن يوالون النظام.

٢٥- بدلاً من الإضرابات.. تسيير الأعمال لصالح الثورة، فالاتصالات ترسل «رسائل sms» بدلاً من قطع الخدمة. وبدلاً من إضراب العاملين في التلفزيون يوجهون خطاباً لصالح الثورة.

د- وسائل يقوم بها الملايين:

١- الامتناع عن دفع فواتير الكهرباء والماء.

٢- إتلاف بعض الأوراق الشخصية التي لا تسبب فوضى لاحقاً كفواتير الكهرباء.

٣- الامتناع عن تسديد الأقساط أو دفع الضرائب.

٤- الاحتفال بأعياد جديدة من روح الثورة. (عيد الشهيد – عيد الثورة

٥- مقاطعة المناسبات الاجتماعية الرسمية.

٦- عصيان القوانين الجائرة.

٧- العصيان المدني الواسع في جميع المجالات.

٨- التحرك نحو أماكن مهمة ذات رمزية.

قواعد عامة لاستخدامات وسائل حرب اللاعنف:

١- خطط للنشاط، حدد أهدافه، مدته، طبيعته (هل هو رمزي يوصل رسا... فقط، أم أنه سيحقق هدفاً نهائياً).

٢- خطط لحماية النشاط، حمايته من أن يتحول للعنف، سواء كان العنف الداخلي للمحتجين، أو العنف الخارجي من المخربين، أو قوى القمع. أو حما... من أن يفشل في تحقيق أهدافه بجرأتك على تحديد شروط التقدم أو الانسحاب.

٣- خطط للطوارئ، وللاحتمالات الواردة لإفشال نشاطك، وتذكر أن الضربة القاتلة له هي أن تنجر للعنف، خاصة عنف السلاح والتخريب.

٤- في حالة الاعتداء عليك، لا تفكر بمنطق الانتقام، فكر بمنطق ما الذي يساعدك في تحقيق أهدافك. أحياناً كثيرة يكون مسار الانتقام مختلفاً عن مسار تحقيق الأهداف، خاصة حين يراد جرك إلى التفكير كمنتقم.

٥- اختبر قابلية الجماهير للمشاركة معك، أو الرضا عن ما تقوم به، فإن أردت استخدام وسيلة، قد تبدأها بعدد قليل، لكن إن ظل عدد المشاركين قليلاً فاعلم أن التصويت الشعبي يرفض المشاركة معك لسبب أو لآخر، قد يكون بسبب القضية نفسها التي تدافع عنها، أو الوسيلة المستخدمة. لا تستكبر عن التراجع.. واعلم أن التصويت الجماهيري يمنحك هدية إرشادية، وليس عقوبة لك.

٦- في كل خطوة تخطوها تفقد موقعك من الجمهور، كم بعدت عنه، أو كم قربت منه، وتذكر أن الجماهير هي حاضنة التغيير. أنت بحاجة إليهم طيلة ...ك، لا تغيير بدون دعم الجماهير.

٧- لا تضع الجمهور في اختيار غير منصف، إما أن يتعاطفوا مع قضيتك بالطريقة التي تريدها، أو تعتبرهم سلبيين، فربما يتعاطفون مع فكرتك، لكنهم يختلفون مع وسيلتك.

٨- احرص في كل نشاط على مخاطبة كل من نفسك، بتحريرها من الخوف وزيادة تمسكها بالقضية. الجماهير، بإيصال فكرتك لهم بشكل متحضر يدفعهم للمشاركة معك. قوى القمع، بإيصال رسالة عدم وجود صراع فعلي بين الجندي والمحتج، كلاهما ضحية النظم الفاسدة. النظام، مستمرون على طريقنا، لن نلجأ للعنف، لكننا لن نخضع.

٩- من تخاطبه أكثر ينظر إليك أكثر، إن خاطبت نفسك فقط ورددت عباراتك التي تؤمن بها وبالألفاظ التي تحب، ستكلم نفسك، إن خاطبت الجماهير باللغة التي يفهمونها ويتقبلونها ووجهت نظرك إليهم ستكسبهم، إذا ظللت تخاطب النظام طيلة الفترة وتمعن النظر فيه فقد أدرت ظهرك للجمهور، حدد موقعك بعناية بين كل الأطراف، واهتم بأن تخاطب الجماهير، حتى وإن كنت تخاطب النظام أو قوى القمع، أوصل من طريقة تعاملك معهما رسالة للجماهير العريضة.

١٠- صمم نشاطك كفنان، فكر كيف ستوصل من كل وسيلة رسالة إلى كل طرف، ارسم الوسيلة على الورق كأبهى لوحة واهتم بالتفاصيل. ونفذها بعبقرية، ...لوحتك تلفت بعبقرتيها أنظار الجماهير وقوى القمع وخصومك. فلا تجعل لوحة خصمك تتفوق على لوحتك، فتقف أمامها الجماهير وتتركك.

١١- أي وسيلة ستكرر استخدامها كثيراً سيكتشف خصومك ثغراتها، ومن ثم يتسللون إليك من تلك الثغرات. نجاح الوسيلة السابق لا يعني أنها صالحة للاستخدام في كل مرة، النجاح مرهون بقدراتك على تطوير الوسائل، وتنويعها لتبهر كل الأطراف.

١٢- إن لم تنجح وسيلتك فلا تتخل عن اللاعنف سريعاً قائلاً أنك جربته ولم تنجح، فكر في مدى فاعلية الوسيلة التي استخدمتها، فكر في الاستراتيجية العامة التي تنتهجها، فكر في قراءتك الكاملة للمشهد.. ربما يكون الخلل في تقديرك للموقف واختيار السبل الأنسب للتعامل معه.

١٣- اشكر كل من ساندك وساهم معك في إنجاح النشاط، فالشكر جزء من النشاط ينبغي خدمته بشكل جيد، ليس كلمة عابرة.

إسقاط النظام:

النظام عبارة عن:

١- **مكونات:** تتكون من أفراد ومؤسسات

٢- **علاقات:** تربط المؤسسات المختلفة ببعضها، وكذلك علاقة الأفراد والمؤسسات.

٣- **قواعد:** وهي التي تحكم العلاقات، فهناك علاقة سلطة، وعلاقة مصالح متبادلة، وعلاقة هيمنة.

يتم إسقاط النظام عن طريق التغيير الجذري في النظام أي تغيير موازين القوى فيه، وإعادة توزيع السلطات حتى تتغير القواعد، وهذا يعني أن تغيير الأفراد فقط لا يعد تغييراً في النظام.

لأن العبرة بتغيير الأفراد والعلاقات والقواعد التي يحكمها النظام، فإذا قلنا أ...

...ل التغيير لم تكن هناك علاقة فعالة للشعب في اتخاذ القرار، فإن التغيير يعني وجود مؤسسات شعبية، وقواعد جديدة تعطيها سلطة أعلى تمكنها من التأثير الفعال في صناعة القرار. أي أن التغيير الجذري مرهون بتغيير القواعد والعلاقات، لا تغيير الأفراد مع بقاء العلاقات وقواعدها حتى لا يصبح الجهد الثوري مجرد «تحول»، أي تحول أفراد النظام إلى تبني قواعد جديدة للحكم ويكونوا شركاء في التغيير، وهو أمر نادر الحدوث ولكنه ممكناً. لذلك يجب أن يحدث التغيير من خلال «الإجبار اللاعنيف»، لا التحول الطوعي والاقتناع بضرورة التغيير

وتحطم وهم الإنقاذ:

بسبب حرب اللاعنف التي يديرها شباب السودان بوعي تام فقد تحطمت إرادة الإنقاذ وتفشت فيها روح الانكسار والخسارة رغم تمسكها بكامل ترسانتها الأمنية.

لقد ظلت الإنقاذ تضع في طريق الثورة الفزاعة تلو الفزاعة من أشهر تلك الفزاعات «فزاعة البعثيين والشيوعيين» بالإضافة إلى الفزاعات التالية:

١- **فزاعة خديعة الاستقرار:**

الاستقرار مفهوم مهم يسعى جميعنا إلى تحقيقه، جميعنا يريد أن يعيش مستقراً، الاستقرار هو مطلب الأشخاص والمؤسسات والدول على الدوام. لكن في السودان حلت عليه لعنة الإنقاذ فصار فزاعة أو شماعة يتم استخدامها بكثرة بغرض الخديعة للتخويف من أي تغيير جديد «زعزعة الاستقرار» أي أن التغيير يزعزع الاستقرار. لكن في الحقيقة أن الاستقرار الذي تخاف الإنقاذ من زعزعته هو استقرارها على الظلم والديكتاتورية، أي استقرار العلاقة بينها وبيننا على نحو ...سد، أي استقرار الفقير فلا يغتني، واستقرار رصيد الغني الفاسد فلا يحاسب، واستقرار السوط في يد الجلاد، واستقرار ظهر المجلود أسفل السوط.

كذلك تأتي خديعة الاستقرار بالتلويح بالتدخل الأجنبي، فالعالم الشرير لن يترك السودان تعيش بسلام كأن بلادنا بعيدة عن التدخل الأجنبي في عهدكم أيها القتلة.

أيتها الإنقاذ لا يوجد استقرار إلا عندما نستقر في أرضنا بشراً أسوياء من غير أن نشم روائحكم الكريهة المتعفنة.

٢- فزاعة خديعة المؤسسات:

دائما ما تصور الإنقاذ نفسها مؤسسة أمنية لا نستطيع مواجهتها لأنها كائن يختلف عنا، فهي أكبر وأضخم ، وتمتلك قدرات غير محدودة، أما نحن فمجرد أقزام لا حول لنا ولا قوة. كان هدف الإنقاذ من هذا التصور هو السيطرة على وعينا وعقولنا، وإخضاعنا لإرادتها حتى يسهل عليها استعبادنا واستحمارنا.

الحقيقة أن الإنقاذ في واقع الأمر تتستر خلف فزاعة المؤسسات كمن «يلبس قناع أسد ليخيف طفلاً»، لكننا نثق أنها ليست أسداً، كما أننا لسنا أطفالا ترعبنا الكلمات، لأننا ندرك أننا نتعامل مع مجرد كلمة اسمها «نظام الإنقاذ» الذي يديره قلة من الأشخاص الانتهازيين هم «جماعة المؤتمر الوطني» الذين يطلقون على أنفسهم «الحكومة أو الحزب الحاكم».

(٤)

كتمت

بعيداً عن تعقيدات السياسة والمصطلحات العلمية القاسية على الفهم[١]، نقول بلهجة سودانية بسيطة «كتمت تب» وتاني مافي رجعة، كتمت على نظام الفساد والمحسوبية والقتل وسفك الدماء، كتمت على حكم الإسلاميين العسكري البغيض، كتمت لأننا أدركنا أن المؤتمر الوطني نظام من ورق، وأن الشجرة التي يستظل بها قد تساقط ورقها بفعل ضربات انتفاضتنا الشعبية الباسلة، كتمت عليك لأننا سئمنا من حياة الخضوع والذل والإهانة، كتمت عليكم أيها التجار واللصوص سارقي قوت الشعب وحليب الأطفال، كتمت عليكم لأن هنالك آلاف الأطفال الذين ولدوا في معسكرات النزوح داخل بلدهم، فعاشوا الفقر والحرمان.

كتمت لأننا سرنا على الطريق الذي يربط بين القلب والوطن[٢] فتعلقت قلوبنا بحب الوطن فأصبحنا نتنفسه حرية وسلام وعدالة، زحفنا كحبات الرمل لا يعرف بعضنا البعض ولكننا نعرف الوطن الذي سرنا في طرقاته التي يغطيها «عسس الكيزان». سرنا لما شعرنا أننا قد تحررنا من كل قوانين الخوف الشائكة التي أحاطنا بها «جرذان» المؤتمر الوطني.

(١) جريدة كتمت العدد الثامن أغسطس ٢٠١٣.

(٢) منقول بتصرف من الأستاذ عبد المنعم محمد.

قد خرجت مواكبنا من كل شبر في أرض الوطن، فقد خرج أطفالنا يحملون «عشم باكر» وفي حدقات عيونهم الصغيرة يسكن الوطن، فكان صوت هتافهم أكبر من «بطش الكيزان» وأقوى من الانكسار وفرقعات البمبان ومن خلفهم وأمامهم أمهاتهم يهتفن ملء حناجرهن:

حرية، سلام وعدالة والثورة خيار الشعب

سلمية سلمية ضد الحرامية

تقريبا كل شيء في السودان يردد

حتى الطيور والأشجار والرمال، وسيارات العسس تردد:

كتمت .. كتمت

الطلقة ما بتكتل

بكتل سكات الزول

****

يا ماشي أم درمان

جيب لي معاك بمبان

شرطا يكون مليان

لا فاضي لا كملان

خرجنا غير مبالين بتلك الهراوات التي ترتفع فتدق عظامنا، ولا بذلك البمبان اللعين الذي يطلقون عليه مجازا « الغاز المسيل للدموع»، ولا بذلكم الرصاص الذي قنص أولادنا الواحد تلو الآخر، خرجنا يتقدمنا صمودنا وجسارتنا، وتتقدمنا راية الوطن الذي نحلم به.

قد أرهقت ثورتنا شرطة النظام و«رباطته» وآلة أمنه القمعية، كيف لآلة تتحرك وتعد بالتعليمات أن تلاحق كل شعب السودان الذي يتمدد زحفه الثوري في كل مكان في وقت واحد، وهتاف واحد هو «تسقط بس». قد اتسع الزحف الثوري وصار بحجم الوطن، فقد خرجت جبرة[١] وشمبات والصحافة والعباسية وبري والمزاد والشعبية والحلفايا والكدرو والجريف شرق والحاج يوسف والسامراب وسوق ٤ والموردة والهاشماب وبانت والمهندسين وأمبدة وودنوباوي والقلبان وحميدان وشارع الوادي وشارع النص والجرافة والفتيحاب وشارع الأربعين وشارع الفيل والعزوزاب والحلة الجديدة والديم غرب والطائف وسوبا والمنشية وشارع ال٦٠ وشارع المشتل وشارع ال٦١ والدباغة مدني والسوق الكبير وبانت وجزيرة الفيل والحلة الجديدة وحنتوب والقضارف وبورتسودان والحصاحيصا وفداسي وأبوحلقة وودربيعة والشبيراب والشكابة وأم سنيطة وكركوج وتمبول والباقير والمسعودية وأم طلحة واللعوتة وألتي وأم بلال والطالباب والجبلية والمناقل وأربجي ووعبري والعرضة وأبوروف وبيت المال والبنك العقاري والمربعات وسوق١٥ والسبيل وال١١ والسابعة والسادسة والراشدين والنخيل والجميعاب وحي المنصورة وال١٦و والصالحة وصابرين وشارع المدارس والشنقيطي والثورة ٣٧ والثورة٣٨ والثورة العاشرة وال٤٢ وال٤٥ وال٤٩ وشارع الكلس والشعبية والدناقلة والجريف غرب وأبوآدم ومحطة ٥ والأزهري وأركويت والفردوس ومحطة البلابل والشجرة والعكد وكوستي ونيالا والجنينة.

كل هذه الجموع تردد شعار واحد فقط هو « نحن طلعنا من الحوش ... يسقط بله ويسقط قوش» تسقط بس ومكملين. كتمت أيها المارقون لا تسويات ولا

(١) تقرير ميداني للأستاذ مهادن الزعيم.

مفاوضات ولا حوار وصلح ولا إصلاح سياسي ولا اقتصادي، كتمت .. لأنها سليل تاريخ مجيد يمتد لآلاف السنين منذ الحضارة الكوشية والسلطنة الزرقاء والثورة المهدية وثورة ١٩٢٤ ومؤتمر الخريجين وأكتوبر ٦٤ وأبريل ٨٥ و٢٨ رمضان وضباطها البواسل وسبتمبر وشهدائها الأماجد[1].

كيف كتمت على الكيزان؟

يجيب على هذا السؤال الأستاذ محمد الأمين أبو زيد وذلك عبر رصد لمشاهد وشواهد الثورة في يومها الأربعين فيقول:

١- كسر حالة الخوف وحلقة الإرهاب :

من الشواهد الأولية التي كسرت رهان السلطة الباطشة هي سقوط قناع الخوف لدى الشباب الثائر الذى اظهر بسالة وتحدى فاقتا الخيال فلكم أن تمعنوا فى شباب اعزل يواجه الرصاص الحى والهراوات والدهس بالسيارات وهو يعلي الهتاف بالسلمية وبالحرية والعدالة ولا يحمل فى جوفه ضغينة حتى على جلاده ..لقد بنت السلطة منذ البداية استراتيجيتها فى المواجهة على عامل التخويف والإرهاب الذى توهمت بزراعته فى نفوس الناس بالقمع والقتل ولكن ارتد هذا الوهم إلى عامل دفع إيجابي فى صالح ترمومتر الثورة وكلما سقط شهيد ضخ فى شرايين الثوار دما جديدا من البسالة والانتصار لأرواح الشهداء.

٢- تساقط أوراق النظام وخداعه:

عندما فشل رهان الخوف والترويع فى إيقاف مد الثورة الصاعد انتقل عقل النظام الأمني المعطوب إلى صفحة عزل الثورة عن حاضنتها الشعبية وبدأ بفبركة خلية عبدالواحد التي كشفت ونسفت زريعة الأمن التي حاول تمريرها على كثير .

(١) مشاهد وشواهد من ثورة الشعب - محمد الأمين أبو زيد.

من البسطاء ومن بعدها توجه إلى فزاعة المندسين الذين يقتلون المتظاهرين (الشيوعيين والبعثيين)والذين يرصدهم (ستالايت قوش) الذى عجز عن رصد قوات خليل عندما دخلت أم درمان وعجز عن رصد خلية عبد الواحد قبل بداية الثورة ومن قبلها الطائرات التي قصفت مصنع اليرموك !!! وبدأت الفزاعات الأمنية والسياسية تتساقط الواحدة تلو الأخرى إزاء فعل الثورة الصاعد بقوة نحو الانتصار واستماتة النظام ورئيس امنه فى الخروج عن طوره ونسيان وظيفته العامة من خلال تسجيله الأخير والذى قال فيه أننا حركة إسلامية ولن نسمح لنظامها بأن تسقطه المظاهرات فى إشارة لجر المتظاهرين للعنف المسلح ولكن جاء الرد المفحم (تسقط بس -سلمية سلمية)..

٣- مخزون القيم وميراث الأصالة:

من المشاهد الأثرة فى مسلسل الثورة هو بعث قيم التكافل والتعاون والتواصي بالحق والصبر والتي ظن الكثير تآكلها وجفاف عروقها وتمثل ذلك فى انفتاح البيوت كحاضنة للثوار وصل حد التضحية بالنفس (الشهيد الفاتح -بري) وإسعاف المصابين ودعم الأسر والجرحى ومشاهد (الشيرنق) لجبر الضرر وتوزيع الوجبات والمياه للثوار وتضميد جراح وإسعاف حتى أفراد الشرطة وتبرع المستشفيات الخاصة بالعلاج المجاني لجرحى ومصابي الثورة والدعم المادي الذى نظمه السودانيون فى المهاجر من خلال حملات التبرع ..وحملات التبرع بالدم (موكب أم درمان) والكثير المثير فى الفزع والنفير المجتمعي.

بالمقابل أفرزت الثورة فى دهاليز النظام عن حالة الحقد وانعدام القيم والرجولة السودانية لدى فرق النظام الأمنية فى تعاملها مع الشعب واطلس الإساءات والشتائم التي تعبر عن خلاصات تربية المشروع الحضاري الساقط.

٤- المرأة السودانية حالة متفردة:

شكلت المرأة السودانية حضورا عظيما فى دفتر الثورة فاق حد الوصف اذ كانت كتفا بكتف مع الثوار تتقدمهم وتقدح زناد الثبات بالزغاريد والهتاف والتعبئة ومارست كل صنوف العمل المقاوم ولم يثنها فداحة القمع عن التباطؤ بل شكل حضورها عنصرا مهما لجذب الكثير من الشباب إلى حلبة الثورة وشوارع الانتصار بل مازالت المئات من المناضلات يقبعن خلف القضبان رهن الاعتقال فى زنازين الأمن جنبا إلى جنب مع آلاف المناضلين .. إن الدور الذى تلعبه المرأة السودانية فى مسيرة ثورة ديسمبر هو امتداد نضالي وتاريخي ضارب فى العمق فالمرأة السودانية تبوأت مركز الصدارة فى العمل العام على مستوى القارة والإقليم ولذلك فهي امتداد للكنداكات الأوائل ولرابحة ومهيرة وبنونة وفاطمة والتاية والأمهات شهداء رمضان وسبتمبر وكافة شهداء الوطن ضد سلطة الجبهة.

٥- ثورة الريف والحضر:

لقد كان تاريخ الثورات والانتفاضات سودانيا يبدأ بالعاصمة وتأتى المدن الأخرى(تمومة جرتق) ولكن فى ديسمبر قلبت الثورة المعتاد حينما اندلعت من الأقاليم(الدمازين ١٣ديسمبر وعطبرة ١٦ ديسمبر وتمددت كالنار فى الهشيم لتعم كل مدن السودان وأريافه وقد شكلت قرى عديدة حضورا مشرفا فى دفتر الثورة لاسيما قرى الجزيرة والنيل الأبيض ونهر النيل والشمالية بما يعكس أن منحنى الثورة شعبيا ومعبرا عن حالة عامة تسود المجتمع رغبة فى تغيير النظام وليست حالة نخبوية كما دأب النظام على توصيفها ومن جانب أخر كشفت عن حالة استعداد غير متناهية للمساهمة فى الفعل الثوري ودعمه مستقبلا. وإنسان الريف أكثر من اكتوى بسياسات النظام وتخريبه للبنى الاقتصادية والاجتماعية وغياب التنمية.

٦- استفزاز الشعب وتحديه عامل محفز:

درج النظام فى ظل حالة الإفلاس السياسي والعجز الفكري على استفزاز الشعب من خلال عدم احترام عقول الناس سواء فى تقديم المبررات الفطيرة والساذجة أو من خلال مجانبته لتصور الأزمة الحقيقية فى البلد وتمثلاتها وقد صار متحدثو النظام عبر قنوات الإعلام أمثولة مضحكة غير قادرة على تقديم إجابات لما يحدث جاهلة طبيعة العصر التكنولوجي الذى تعيش فيه والذى باتت فيه المعلومة والخبر فى متناول الجميع واصبح مصدرهما هو الشعب وليس مراسل قابع خلف طاولة ..وقد اتسمت ردود متحدثي السلطة بالارتباك والاهتزاز والضعف والتناقض لما يعترى دواخلهم من سوءات المصير وحالة الخوف وشكل هذا فى حد ذاته عامل دفع للثورة والثوار وتحويله إلى شعارات تملأ الدنيا كلها.

٧- الإعلام الرقمي وفرص التقدم لصالح الثورة:

لقد برع شباب الثورة فى توظيف عنصر الميديا والإعلام الرقمي توظيفا متقدما بمراحل على النظام بالرغم من امتلاكه لكل وسائل الإعلام والتي فضحتها الثورة وعبقرية شبابها وحولتها إلى أبواق بلهاء لا تقوى على مجاراة قوى الثورة فى هذا المجال وبالمقابل جعلت من رموز السلطة فى الإعلام أبواق فارغة تعبر عن عداءها للشعب وعن حالة انعزالية فرضها عليها تبعيتها للنظام والمصالح التي تربطها به فأثرت تلك المصالح وخسرت مهنيتها وشعبها فى آن معا .ففي الوقت الذى أجبرت فيه الثورة معظم الإعلام العالمي على الاهتمام بها ونقل أحداثها ظل الإعلام الحكومي يمارس هواية دفن الرؤوس فى الرمال ويجهل كل ما يحدث منحطا بدوره ومهنيته إلى الحضيض كاشفا عن عدم قدرته على التأثير وتشكيل الرأي العام. وبالمقابل استطاع إعلام الثورة القائم على المبادرة واجتهادات قوى

الثورة على تحقيق هدفين عظيمين هما:

أ- توصيل صوت شعب السودان المقاوم للنظام لكل العالم وأحراره ومنظماته الدولية.

ب- فضح النظام وأساليبه ووجهه الأسود وتقديم أدلة دامغة على رموزه تشكل قاعدة للعدالة الانتقالية للثورة.

٨- شباب أعزل سلاحه الوعى:

يقول علم الثورة أن الثورة هي التغيير الجذري للمجتمع وليس الشكلانى أو الإصلاحي وقد برز هذا الوعى لدى شباب الثورة ويمكن ملاحظته فى مفردات بسيطة أعطت مؤشرات أن التغيير القادم متسلح بعنصر لن يجعله يقبل بأنصاف الحلول ولا البدائل الزائفة ويمكن قراءة ذلك من خلال شعارات الثورة التي وحدت السودانيين وقوت عناصر النسيج الاجتماعي الذى استهدفه النظام بالتدمير والتفكيك (يا عسكري يا مغرور كل البلد دارفور ..تكسر سنك تقلب هوبة كل الشعب جبال النوبة) ..إن هذا الوعى من شباب ظن الكثيرون انه ركن إلى الخنوع والانصرافية يجعلنا مطمئنين إلى مستقبل الثورة ونجاحها فى ترميم جراح الوطن .وفى جانب آخر أن هذه الأجيال التي تفتحت أعينها وترعرعت فى ظل النظام الشمولي الذى يدعى امتلاكه مشروعا للتغيير يؤشر فشل زريع فى قدرة المشروع الحضاري على تقديم شيء للمجتمع السوداني عامة والشباب خاصة كما عبر عن ذلك مدير جهاز امنه فى تسجيله المسرب ..وكما تقول المقولة الذهبية من يكسب الشباب يضمن المستقبل.

٩- هشاشة البنى السلطوية:

من المشاهد الجديرة بالاهتمام أن الثورة كشفت هشاشة بنية النظام السياسية (تنظيمه وواجهاته)التي عجزت عن أن تحشد ولو مظاهرة واحدة مؤيدة سوى

حشد الساحة الخضراء المغصوب والممول من خزينة الدولة أو تطفل البشير على حشد الطرق الصوفية (الكريدة) إن التنظيم الذى يبنى على المفاسد والمصالح لن يحمى نظام مهما تقوت كتائب ظله بالسلاح والإرهاب لأنها فاقدة للإيمان والسند الشعبي وتعانى الخوف والعزلة.

١٠- القيادة الملهمة عنوان للنجاح :

شكل تحالف المهنيين التنظيم القائد للثورة مدعوما بتحالف القوى المعارضة (تحالف الإجماع – نداء السودان –التجمع الاتحادي) شكل قاعدة صلبة توحدت من خلالها المعارضة السياسية والمدنية من خلال إعلان الحرية والتغيير الموقع عليه من كل الأطراف وظل التحالف يجتذب إليه كل يوم اطراف جديدة وفاعلة لمسيرة الثورة ... حظى التحالف بسند شعبي كبير جدا وثقة متناهية من الشباب الثائر فاقت تصورات النظام اللاهث وراء معرفة قياداته التي تحرك الفعل الثوري ورغم اعتقاله جزءا منها وتعذيب بعض المعتقلين للكشف عن هوية الباقين إلا انه فشل فشلا ذريعا فى ذلك وبالمقابل فى إيقاف المد الثوري.

(٥)

وانتصر وعي الشباب

إن الوعي في أبسط صوره هو قدرة الإنسان على إدراك واقعه من خلال عنصري المعرفة والشعور أي شعورُه بما في نفسه وما يحيط به وفهمه بشكل سليم، والوعي في حقيقته يعيد الإنسان إلى نقطة الصفر ليعمل قدراته العقلية مجددًا لاستخلاص النتيجة الأكثر صحة بما يتناسب مع التغيرات التي ظهرت في عصره.

وبشكل عام يعتبر مفهوم الوعي أحد المفاهيم الجدلية حتى الآن، لكن ينبغي أن ننظر إليه بشكل عميق حتى نتمكن من فهم طريقة بنائه وتشكيله لواقعنا، وبالتالي نصبح قادرين على تجاوز محنة «المؤتمر الوطني» التي نعيشها حاليًا كسودانيين.

تختلف مدلولات الوعي، من مجال إلى آخر، فهناك من يقرنه باليقظة (في مقابل الغيبوبة أو النوم). وهناك من يقرنه بالشعور ويشير به إلى جميع العمليات السيكولوجية الشعورية. ويمكن أن نجعل الدلالة العامة للوعي فيما يلي: إنه ممارسة نشاط معين (فكري، تخيلي، يدوي). ومن ثمة يمكن تصنيف الوعي حسب نوع النشاط الذي يمارسه الإنسان.

الوعي الثوري:

يراد بكلمة ثورة في استعمال العرب: الغضب والهياج، والوثوب والارتفاع، والانتشار والاتساع، والظهور والحركة، فالعرب تقول: ثار الشيء ثورا وثورانا

أي: هاج؛ والثائر هو الغضبان، وثار ثائره وفار فائره أي غضب وهاج غضبه[1].

ومن هنا يتبين لنا أن كلمة الثورة تحمل معاني كلها ملموسة وظاهرة في طبيعتها: كالغضب والهياج العام، والظهور والحركة، واتساع النطاق والانتشار والفوران.

فإذا استصحبنا هذه المعاني ونزلنا بها إلى الميدان العملي وجدنا أن مصطلح الثورة يُطْلَق على التغييراتٌ ذات الطابع السياسي والاجتماعي التي تتم بصورة جذرية متجرِّدة من العنف وأدواته وهذا يعني أن الثورة : تغيير أساسي فِي الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب فِي دولة ما[2]. أي أن الجماهير تكسر كل قيود الإخضاع التي عملت السلطة على تكريسها لعقود، وأنها تخلصت من أوهام الخنوع والخوف التي كانت تمنعها من رؤية الحقيقة، وبالتالي تستعيد ثقتها على إحداث التغيير والتقدّم للأمام.

في اعتقادي أن شباب السودان قد تمردوا على كل الحواجز النفسية والعقلية وأدركوا بوعيهم ضرورة الثورة وهذا في حد ذاته يُعد بمثابة لحظة وعي تاريخيّة هامّة، تؤذن بولادة إنسان سوداني جديد.

وأنهم قد تجاوزوا كل أدوات السيطرة التي كرستها سلطة المؤتمر الوطني في نفوسهم، كالعزل والتقسيم والذاتية والأنانية والخوف وتزييف الوعي وتخديره، بل أنهم أحلوا مكان أدوات السلطة الزائفة معاني الثورة والتضامن والتوحّد والتعاون والتضحية. لأنهم يرون أن قوتهم الحقيقية في تجمعهم وتكاتفهم صفاً واحداً من أجل إسقاط النظام وتغييره.

(١) راجع: لسان العرب (٤/ ١٠٨- ١١١).

(٢) راجع المعجم الوسيط (١/ ١٠٢).

قد برع أبناء السودان في التعاطي مع ثورتهم بشكل مسؤول حتى نقلوها نقلة نوعية في وقت وجيز رغم بطش النظام، فكانوا أكثر تنظيما ووعيا مكنهم من كنس الماضي بكل أدواته المتعفنة خلال ثلاثين عاما، واضعين نصب أعينهم مستقبل مختلف يلبي طموحاتهم، متناسين أوهام الماضي وقيوده.

دخل شبابنا في صراعٍ قاس وعميق وحاد مع «بلطجية ورباطة» الكيزان الذين يعملون بأساليبهم البشعة على إرهاب مجتمعنا وتقسيمه. هذا الصراع الكثيف سيكسب شبابنا في المستقبل القريب خبرات هائلة في مجالات مختلفة، اجتماعية، سياسية، وثورية وقيماً ومفاهيم إنسانية غيّبتها السلطة طلية (٣٠ سنة)، كالتضامن ورفض الظلم والسعي للحرية والثقة بقوة الشعب وبإمكانياته وقدرته على التغيير وإنجاز العمل الثوري.

أرى أن شبابنا الذي يمثل الآن طليعة الثورة وقلبها النابض يمتلك وعياً وخبرات سياسيّة واجتماعية فرضتها عليه قساوة الصراع وكثافته وتعدد مستوياته. شباب متعطش للفهم وللتقدم وتخليص السودان من نظام القهر والاستغلال المتربع على صدورنا منذ انقلاب ٣٠ يونيو المشؤم، شباب ساعٍ إلى المعرفة من أجل فهم عميق لطبيعة الصراع الذي يخوضه ويتفاعل مع تفاصيله، شباب قادر على بلورة مطالبنا الشعبية، شباب يمتلك الوعي الكافي لكشف المتسلقين والانتهازيين ومناورات النظام، واستغلال الثورة من الخارج واحتوائها أو الالتفاف عليها.

إن الميزة الأساسية لثورتنا التي يقودها الشباب الآن هي «سلميتها» التي جننت النظام فهذه الثورة لم تدع إلى العنف ولم تعبر عنه ولم تنفذه. فالسلمية هي الحاضنة المركزية لها بل واجه شبابنا الغاضب بصدور عارية فرق الموت التي أرسلها النظام الاستبدادي لقمعهم بصورة وحشية القصد منها إرهابهم وتخويفهم.

أما الميزة الثانية فهي أن هذه الثورة لم تكن لفئة من الشعب غطت مضامينها كل طبقات السودان الاجتماعية لتعبر بشكل جلي عن عمق المطلب الاجتماعي العام.

ولاشك أن الميزة الثالثة لها هي «الجماهيرية الثورية» ونقصد بها أن كل جماهير الشعب السوداني مع الشباب في معركتهم ضد النظام الذي سرق أحلامهم، وهذا جعل الثورة ثورة شعب يتوق إلى الحرية والانعتاق وليست ثورة نخبة إقصائية يَسهُل القضاء عليها من قبل النظام القمعي. لأنه ببساطة لا توجد ثورة في التاريخ نجحت بدون التفاف الجماهير حولها.

الوعي الزائف:

مصطلح «الوعى الزائف»[1] مستمد من الفكر الماركسي على الصعيد النظري ومن وقائع ودروس الثورة البلشفية على المستوى العملي التاريخي. ويُعد «الوعى الزائف» سلاح فتاك يعمل على انتكاسة الثورات، على عكس «الوعى الثوري» الذي يمثل العامل الحاسم فى إنجاح الحركات الثورية؛ بالقدر الذى يشكله «الوعى الزائف» فى احتوائها ثم إجهاضها، إذ قد تتراكم مفاسد النظام القائم؛ لكن هذا «التراكم الكمي» لا يفضى بالضرورة إلى «التغيير الكيفي» على الرغم من توافر «الظروف الموضوعية» لاندلاع الثورة؛ ويرجع ذلك إلى انعدام أو هزال الوعى الثوري؛ وهذا ما أكده «جان جاك روسو» فى مقولته المأثورة: «إن الثورات تقوم للشعور بالظلم، لا الظلم نفسه». و«الشعور» هنا يعنى «الوعى الثوري»؛ الذي كان العامل الحاسم لاندلاع ونجاح الثورة الفرنسية؛ على الرغم مما واجهه الثوار من تحديات داخلية وخارجية.

والسؤال هل الوعي الذي يتمتع به شبابنا الآن وعي زائف؟

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال تكون بالنفي لأن صمود شبابنا طلية (٤٠ يوما) هي عمر انتفاضة ديسمبر حتى الآن في مواجهة بطش السلطة – مصدره الأساسي الوعي الذي استطاع أن ينتصر على كل محاولات النظام الرامية إلى

(١) محمود إسماعيل – الثورة ومخاطر الوعي الزائف.

إجهاض الثورة وتضليل مسيرتها وبالتالي انحرافها عن مسارها السلمي وذلك لزيف وعي الجماهير التي احتضنتها.

كما أن شبابنا فطنوا من الوهلة الأولى لمفهوم «الثورة» من حيث كونها ظرفاً تاريخياً خاصاً يستهدف الإطاحة بالنظام القائم واجتثاث جذوره المتمثلة فى أدواته ومؤسساته ودستوره وقوانينه وسياساته. إلخ، وهذا واضح جليا لكل المتابعين فقد كان شعار الثورة من البداية «تسقط بس» وليس إصلاح النظام أو التفاوض معه.

بل أنهم فهموا مبكرا أن بناء المشروع الثوري يختلف عن صناعة الحالة الثورية. فالمشروع يقوم على صياغة رؤية لكيفية الوصول للمستقبل، واعتماد استراتيجية، وإعداد أدوات. بينما الحالة تقوم بالأساس على استثمار أجواء السخط لرفع مطالب تغييرية. فالحالة الثورية تختلف عن المشروع الثوري في درجة تشكلها وافتقادها للتخطيط المسبق. وهو ما يعطي جرعة الأمل في أن جنين الثورة لا يلتزم بالاستقرار في رحم المجتمع مدة معينة، فهو يفاجئ الجميع بسرعة تشكله، وبركلاته القوية والمفاجئة للخروج إلى العالم. لكن تظل الأدوات التي تستخدمها الأنظمة الاستبدادية، في أغلب الأحيان، حائلًا بين الجنين وبين خروجه للعالم، ولا يقلل هذا من أهمية الحالة الثورية، ودروها في نجاح عمليات التغيير.

كما إن من علامات صحة المجتمع المقاوم انشغاله بالمشروع الثوري عن الحالة الثورية، والوعي بدور كل منهما في إحداث التغيير، فلا غنى للمشروع عن الحالة، لكن الحالة وحدها لا تحقق المشروع، والمشروع وحده لا ينجز التغيير. ويمكن أن نستشف مدى وعي شبابنا المقاوم من خلال تتبع الأحاديث الدائرة في كل مدن السودان التي تنتفض الآن.

بل حول شبابنا خوفهم وقلقهم إلى قوّة دافعة تحفزهم على العمل الجاد من

أجل ابتكار وسائل وطرق تحمي حراكهم الثوري وتطويره بالاتجاه الصحيح، نحو تحقيق التحوّل الذي تسعى إليه جماهير الشعب السوداني المنتفضة.

كما أن وعي شبابنا الثوري لم ينزح إلى حد تحقيق القطيعة مع جيل «الآباء التقليديين أو المكرسين»[1] أي الآباء الذين كرسوا سياسة وعي ثقافة الإحباط واللاجدوى من أي تحرك أو فعل ثوري. وإنما النزوح لوعي جديد لا يتكئ على مفاهيم تقليدية، وإنما يتلمس التأسيس لمفاهيم وعي جديد يرى في العمل الثوري طريقا لوعي ثوري قادر على التأثير وخلق بنى فكرية واضحة تنزع إلى اجتثاث التشوش القائم بفعل النظام.

لكن يجب على شبابنا أن يدركوا أن بناء وعي وثقافة جديدتين يتطلب في الدرجة الأولى التوقف عن ممارسة سياسة «كي الوعي»[2] التي يمارسها جهلة أو عملاء النظام المزروعون في صفوف جمهور الثورة بهدف تشويش الصورة ومنع قيام الوعي الثوري الحقيقي.

عوامل نجاح الثورة:

١- وجود قيادة وطليعة ثورية:

لابد من وجود قيادة وطليعة ثورية قوية كـ «تجمع المهنيين» تحث الجماهير وتهيجهم ضد السلطة الحاكمة وتُظهر عيوب تلك السلطة وتعمل على إنهاكها سياسيًا واقتصاديا واستنزاف مواردها وإثارة تفككها.

٢- صناعة مناخ ثوري:

وهو وصول الرأي العام الجماهيري-الذى تصنعه الطليعة الثورية-إلى القناعة

(١) العبارة للباحث اللبناني زياد ماجد.

(٢) فؤاد حيرة – كلمة حول الوعي الثوري الجديد.

بأن الإشكال مع النظام قد وصل إلى حد الانسداد وأنه لا مفر من مرحلة الثورة ومقاومة النظام و-حينئذ- يهون على الناس حجم التضحيات لما هم فيه من سوء الحال وما يعانونه عملياً. ففي هذه الحالة تنال النداءات الثورية استجابةً من الجماهير من إضراب وتظاهر ضد النظام إلخ. لكن صناعة المناخ الثوري لا تأتى إلا من خلال صناعة الوعي الجماهيري فعلى الطليعة الثورية أن تُعرف الجماهير بأسباب المعركة مع النظام وأسباب النضال وأن تعي الجماهير بأن الصراع مع النظام واجب وحتمي وبدونه سيظل الشعب في ذله وإهانة وقمع من النظام. وبالتالي يدركون أن الثورة عمل باهظ التكلفة، يدفعه المضطر له، والمضطر لدفع ثمن الثورة هو من يعاني الاستبداد، لأن تكلفة الاستبداد أكبر من تكلفة الثورة بألف مرة.

ولابد لعملية صناعة الوعى من نقطتين رئيسيتين:

أ- امتلاك الثوار لنظرية حشد ويُقصد بها مجموعة الأعمال السياسية والدعائية التي تُوفر للثوار اتساع دائرة الأنصار والمؤيدين وتجنيد العناصر الجدد فيما توفر لهم الخدمات اللوجستية.

ب- مقاع الصراع وهو مجموعة الشعارات والأهداف والقضايا التي يطرحها الثوار لإقناع الناس بقضية الثورة وعدالتها وتُأهلهم ليكونوا ضمن حشد الأنصار والأعضاء فهو البوابة التي يدخل منها الشعب إلى الثورة.

ويبقى أن نحذر من أن يتحول العمل الثوري الجماهيري إلى «عنف نخبوي انعزالي» منعزل عن الناس لا يعي الناس رسالته وقيمه. وبالتالي يكتسب النظام نقاط جديدة ويسهُل عليه الفتك بالثورة إعلامياً والقضاء عليها تماماً حيث أنها منعزلة وبعيدة عن الجماهير وتطلعاتها[1].

(1) محمد بن علي - نظرية الثورة.. بين المقاومة والمناخ الثوري.

(٦)

هل يمكن إصلاح ما أفسده المؤتمر الوطني؟

خطورة استمرار حكومة المؤتمر الوطني على وحدة واستقرار السودان:

هذه الحكومة على مستوى دارفور فقط ارتكبت مجازر كافية لإسقاطها ناهيك عن جنوب السودان والنيل الأزرق والعاصمة الخرطوم وبقية أجزاء السودان الأخرى فهي تقتل بدم بارد كل ما يمت للسودان بصلة الأمر الذي حول السودان كله إلى «نيران تشتعل» أكثر فأكثر، فتأكل وتحصد السودانيين بالإعدامات السريعة للمدنيين والأطفال، وبإحراق القرى والمدن، وبالأمراض، والاستغلال ونقص الغذاء. وبالإبادة الجماعية وجرائم الحرب، ولا يوجد أي شيء يوقف هذه النيران إلا الثورة الشعبية التي تقتلع هذا النظام من جذوره وتبني دولة المواطنة والقانون في ظل السودان الواحد الموحد. وإلا ستبقى أزمات السودان بلا حل ويصير حالنا كما قال الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري في مطلع قصيدته الرَّجعيُّون، التي نُشِرت في ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٢٩م:

ستبقى طويلاً هذه الأزماتُ ... إذا لم تُقصِّر عمرها الصَّدمات
إذا لم ينلها مصلحون بواسلٌ ... جريئون فيما يدَّعون كُفاة
سيبقى طويلاً يحمل الشَّعب مكرهاً ... مساوئ مَنْ قد أبقت الفترات
ألم تر أنَّ الشَّعب جُلُّ حقوقه ... هي اليوم للأفراد ممتلكات؟
ومن عجبٍ أنَّ الذين تكفَّلوا ... بإنقاذ أهليه هم العَثَرات

لكن هل يمكن إصلاح ما أفسده المؤتمر الوطني؟

الإجابة على هذا السؤال تبدو عصية، لأن ما أفسده المؤتمر الوطني طيلة ثلاثين عاما لا يمكن إصلاحه إلا بذات عدد السنين، ليس هذا تشاؤما وإنما بعض الحقيقة، أما بعض الحقيقة الأخر فيقول يمكن إصلاح ما تم إفساده لكن بالعمل الجاد وبناء دولة مغايرة تماما لدولة الإنقاذ في كل شيء وأول شيء يجب إصلاحه في دولة الثورة المؤسسات العسكرية والأمنية فقد كان للإنقاذ فيها حضور كامل الدسم وربما يكلف هذا الحضور السودان ثمناً باهظاً حتى تنال استقرارها الكامل.

لكن كيف يمكن للدولة السودانية إحداث تغييرات وتحوّلات كبيرة في المجتمع السوداني، الذي نجحت الإنقاذ في تدجينه وجعلت قبائله ومناطقه تتصارع بعضها البعض.. الإجابة تقول أن إحداث ذلك يقع في خانة الجزء الأول من الحقيقة الذي تحدثت عنه قبل قليل.

أما الأزمات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية فمقدور عليها، على الرغم من أن نظام الإنقاذ قد سلك فيها طريق عدم الاتزان فأضحت سياساته الاقتصادية والخارجية تفتقر إلى غياب الرؤية الاستراتيجية فضلا عن تفشي الفساد وتراجع القيم الإنسانية. وفضلا عن تدويل قضايا السودان الأمر الذي أدى إلى فرض (٦٣ قراراً) ضد السودان من قِبل مجلس الأمن الدولي.

يستطيع السودان أيضا إصلاح الجيش والنقابات العمالية، والقضاء ومؤسسات الدولة بعيدا الحزبية والمحسوبية ، ومحاربة الفساد والقضاء عليه. ويستطيع السودان أن يجد حلا سريعا وآمنا لقضية دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان ولكن كيف له أن يجد حلا لعملية انفصال الجنوب؟ الأمر يبدو معقدا وليس سهلا كما يتصور بعضنا.

وقد نواجه بعد «سقوط الإنقاذ» ما هو أنكأ وأعظم وأكبر، لأن ما فعلته الإنقاذ طوال سنوات حكمها «مخفياً وصادماً» وقد يحمل الشعب السوداني فوق طاقته، لأن ما تخفيه الإنقاذ من بلاوي وجرائم في حق السودان سيفوق حجم المأساة

والكارثة. لأن من عاش حياة الحرمان والجوع والقهر والمرض طوال ثلاثين عاما يجد صعوبة في أن يثق في أي حكومة مقبلة مهما فعلت، لذلك يجب على حكومة الثورة أن تتخذ مبدأ الشفافية والمساءلة شعارًا لها وبالتالي تلاحق فساد الإنقاذ وتعمل على إعادة ما تم سرقته ومحاسبة من سرقه .

الحقيقة أن ما أفسده المؤتمر الوطني فوق الخيال ولا يمكن لأي عقل أن يتصوره فقد اختفى قسرًا خلال عمر الإنقاذ عشرات الآلاف من السودانيين بشكل تجاوز حد الغموض ، فقد اختفى أبناء السودان في مناطق القتال في دارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق وجنوب كردفان، وفي حرب اليمن وغيرها من الأماكن التي طالها ظلم الإنقاذ خاصة السجون والمعتقلات وبيوت الأشباح .

ومما أفسده المؤتمر الوطني أيضا الشهادات العلمية والمؤسسات التعليمية والعلمية والمدارس والجامعات التي أصبحت مكانًا لتصفية خصوم الإنقاذ الخلاصة فقد أفسدت الإنقاذ ومؤتمرها الوطني كل السودان ، فقد أفسدت الإنسان والاقتصاد والدين وقتلت براءة الأطفال.

فؤاد عيد

أسمرا في ٢٨ / ١/ ٢٠١٩